مصطفى الدباغ

وجوه من الإعجاز القرآني

الطبعة الاولى
١٩٨٢

الناشر
مكتبة المنار
الزرقاء - الاردن

الاهداء

إلى سهل ومصعب وربى

ليكون لهم القرآن والسنة المرجع والحكم «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.» ٨٢/ النساء.

مصطفى محمد زكي الدباغ

الفهرس

٧ مقدمة

١٣ الباب الأول: الاعجاز البلاغي

١٤ ١. تمهيد.

١٧ ٢. الاعجاز البلاغي عند المتقدمين.

٢١ ٣. الاعجاز البلاغي عند المحدثين.

٢٧ ٤. شواهد على الربط المحكم في البناء والتركيب القرآني (الاعجاز البنائي).

٢٨ أ- الترابط بين الكلمات القرآنية

٣٦ ب- الترابط داخل السورة الواحدة.

٤١ ج - وحدة القرآن (الترابط بين سور القرآن الكريم ككل)

٤٧ الباب الثاني: الاعجاز العددي

٤٨ ١. تمهيد.

٤٩ ٢. العدد في القرآن الكريم (النظام العشري بدلا من النظام الستيني في الحساب).

٥١ ٣. ظاهرة الاعجاز العددي (دلالة جديدة في إعجاز القرآن الكريم.

٥٥ ٤. التوازن الحرفي.

٦٧ ٥. التوازن الموضوعي.

٧٣ الباب الثالث: الاعجاز العلمي.

٧٤ ١. تمهيد.

٧٦ ٢. الانسان.

٨٢ ٣. الكون

٩٧ ٤. الطبيعة الجوية

١٠٥ ٥. إشارات علمية متفرقة.

١١٥ خاتمة

١١٧ المراجع.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمدوعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

لقد نظر العرب وغيرهم، قديمهم وحديثهم، في القرآن الكريم فوجدوه معجزاً من وجوه:

١ - لقد تحداهم أن يأتوا بمثله، ولكن العرب عجزوا عن ذلك وهم في الذروة من البلاغة والبيان. ولو أنهم نجحوا في معارضة القرآن لكان في ذلك إضعاف أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وتكذيب قوله ولكنهم لم يفعلوا - مع طول المدة واستفحال معاندتهم وعدائهم - فعلم أنهم لا يقدرون على معارضته وهم القوم الخصمون كما وصفهم الله تعالى فقال: «وتنذِرَ بهِ قَوماً لُدّاً» (٩٧/ مريم).[١] وقد حاربوا الرسول صلى الله عليه وسلم بكل الوسائل من منابذة وعداء وحرب فلا يعقل أن يجنحوا للأمر الصعب ثم يتركوا الأمر الأخف بدحض حجته وإبطال أمره بمعارضتهم للقرآن . ولكنهم عجزوا وحسب.

٢ - ووجدوه معجزاً من حيث تعرضه للحقائق التاريخية.

«.. وإنه لكتاب عزيز. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيمٍ حميد» (٤١، ٤٢/ فصلت). فحديث القرآن عن الماضي منزه عن الخطأ. ففي الوقت الذي حاول فيه الناس الطعن ببعض أخباره تحت شعار النقد العلمي والنزاهة التاريخية فأنكر بعضهم عاداً وثمود وما أصابهم،ما لبثوا طويلاً حتى تبين لهم أن عاداً **Qadita** وثمود **Thamudida** مذكورتان في تاريخ بطليموس وأن اسم عاد مقرون باسم أدراميت في كتب اليونان وأدراميت هي إرم كما يسميها القرآن. كما عثر المنقب موزيل التشيكي على آثار هيكل عند مدين منقوش عليه بالنبطية واليونانية ما فيه إشارة إلى قبائل

(١) عبدالكريم الخطيب. اعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها. الجزء الأول الطبعة الاولى. دار الفكر العربي. القاهرة: ١٩٦٤. ص ١٦٧.

ثمود. كما نرى البعض ينكر أبرهة ونكبة جيشه لتكشف النقوش عن اسمه على خرائب سد مأرب ملقباً بالأمير الحبشي: ملك الحبشة وسبأ وريدان وحضرموت واليمامة وعرب الوعر والسهل. ويروي الرحالة بروس الذي زار الحبشة في القرن الثامن عشر أن الأحباش في تواريخهم يذكرون أن أبرهة قصد مكة وارتد عنها لما أصاب جيشه من مرض وصفوه كالجدري. كما أثبت صحة ذلك التأريخ بعام الفيل قبل البعثة المحمدية بأقل من جيل واحد.[1] وعندما تنزلت سورة الفيل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان بعض من واكب الحادثة أو أبناء من واكبها شهوداً فلم ينكروا أو يكذبوا وهم الذين فيهم من ينتظر هفوة أو غلطة في مقالته ودعواه.

٣ ـ كما وجدوا القرآن معجزاً من حيث تعرضه لأهل الكتاب وما حرفوه في كتبهم أو أخفوه. فقد صحح تحريف كتبهم وتحدى أحبار اليهود ورهبان النصارى أن يكذبوا ما جاء به القرآن فعجزوا. لقد قال لهم: «إن هذا القرآنَ يقصُ على بني إسرائيلَ أكثرَ الذي هم فيه يختلفون» وقال لهم: «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّنُ لكم كثيراً مما كنتم تُخفون من الكتابِ ويعفوا عن كثيرٍ..» ٧٦/ النمل، ١٥ المائدة. ولكنهم ذهلوا إزاء حقائقه ولم يثبت التاريخ أنهم استطاعوا تكذيب حرف واحد مما قصه عليهم ومما كشفه مما قد أخفوه. كما قد تحداهم أن يأتوا بالتوراة ليثبتوا ما يدعّون مما يذكر القرآن خلافه:«كلُّ الطعامِ كان حِلاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيلُ على نفسه من قبل أن تُنزّلَ التوراةُ قل فأتُوا بالتوراةِ فاتلُوها إن كنتم صادقين» ٩٣/ آل عمران.[2]

وقد أعلنت الدراسات النقدية للتوراة بأنها لم تعترف بالصحة الا لسفر واحد من أسفارها، هو سفر إرمياء كما يذكر مونتيه في تاريخ الكتاب المقدس. وكذلك الحالة بالنسبة للانجيل فقد رد مجمع نيقية[3] كثيراً من أخباره مما زرع الشك حول ما تبقى بين يدينا، كما أثبتت الدراسة أن ما هو موجود منها وضع بعد المسيح بأكثر من قرن أي بعد عصر الحواريين، ثم انظر كم من اختلاف وتعارض وزيادة ونقص بين الأناجيل الأربعة الحالية. ولقد لعن إرمياء في سفره المذكور (أقلام النسّاخ الكاذبة) مما يتفق تماماً مع ما ذكره القرآن الكريم بقوله: «.. يُحرّفون الكلم

(١) سعيد حوى. الرسول صلى الله عليه وسلم. الطبعة الثالثة. دار الكتب العربية. بيروت. ١٩٧٤. ص. ٥١.
(٢) المرجع السابق نفسه. ص ٦٢.
(٣) عقد مجمع نيقية Nicaea سنة ٣٢٥م وكان عقده بأمر الامبراطور قسطنطين الكبير واتخذت فيه قرارات وضعت الاساس للمسيحية التي لا تزال تتبعها الكنائس وقد اختار المجمع الكتب المقدسة التي لا تتعارض مع قوله بالتثليث والوهية المسيح وصلبه كما قرر تدمير ما عداها من الاناجيل: د. احمد شلبي مقارنة الاديان ٢ـ المسيحية ط. ٣ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧. ص ١٦٥.

من بعد مواضعه » ٤١/ المائدة « فَنَسُوا حَظّاً مما ذكِّروا بِه.. » ١٤/ المائدة.

٤ - كما رأوه معجزاً من حيث كشفه حجب المستقبل وتصديق المستقبل لكل حديثه:

أ - « والله يعصمك من الناس » ٦٧/ المائدة. كان النبي صلى الله عليه وسلم - كما روى الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها وكما روى الطبراني عن أبي سعيد الخدري - كان يحرس بالليل فلما نزلت هذه الآية ترك الحرس وقال: (يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله). فقد احتاط رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر حماية نفسه فحرسه الصحابة حتى نزلت الآية التي تجزم بأن الله عاصمه من الناس فلا تمتد إليه يد قاتل وهذا إخبار عن غيب فمن يستطيع أن يجزم بأمر كهذا - من عند نفسه - مع توفّر كل دواعي التعرض للقتل خاصة للرسول صلى الله عليه وسلم الذي عاداه الناس وقد ذكرت لنا السيرة محاولات كثيرة للنيل منه ولكنه انتقل للرفيق الأعلى بيد القدرة الالهية وحدها. [١]

ب - « .. لتدخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاءَ اللهُ آمنينَ.. » ٢٧/ الفتح. وقد صدق هذا الوعد تماماً وكما أنبأ القرآن وبالكيفية نفسها.

جـ - ومن أمثلة الحديث عن غيب المستقبل كذلك « **الم. غلبت الروم. في أدنى الأرض وهم من بعد غَلَبهم سَيَغْلِبُونَ. في بضع سنين لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ ويومئذٍ يفرحُ المؤمنونَ. بنصر اللهِ ينصر من يشاءُ وهو العزيز الرحيم** » الآيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥/ الروم. « **وعَد اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وعدهُ ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » ٦/ الروم.

كان المشركون يجادلون مسلمي مكة في أنهم سيغلبونهم كما غلبت فارس الروم - فالروم أهل كتاب كذلك - فنزلت الآية. فكان إخبار الآيات بالنصر وأنه واقع في وقت معين إخباراً بأمرين خارجين عن متناول الظنون. فدولة الروم كانت قد بلغت من الضعف حداً يكفي من دلائله أنها غزيت في عقر دارها وهزمت في بلادها. فلم يكن أحد يظن أنها ستقوم لها قائمة إلى أمد طويل، فضلاً عن أن يحدد الوقت الذي سيكون لها فيه النصر. لذلك كذب به المشركون وتراهنوا على تكذيبه. على أن القرآن لم يكتف بهذين الوعدين بل عززهما بثالث: (**ويومئذٍ يفرحُ المؤمنون بنصر الله**). فأشار إلى أن اليوم الذي سيكون فيه النصر هناك للروم

(١) سعيد حوى. المرجع السابق نفسه ص ٦٣.

على فارس سيقع فيه هنا النصر للمسلمين على المشركين وإذا كان كل واحد من النصرين مستبعداً عند الناس أشد الاستبعاد فكيف الظن بوقوعهما مقترنين في يوم؟ لذلك عاد القرآن ليؤكد أعظم التأكيد بقوله « **وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ». ولقد صدق الله وعده فتمت للروم الغلبة على الفرس باجماع المؤرخين في أقل من تسع سنين وكان يوم نصرها هو اليوم الذي وقع فيه النصر للمسلمين على المشركين في غزوة بدر الكبرى. كما رواه الترمذي عن أبي سعيد ورواه الطبري عن ابن عباس وغيره. فكانت نبوءة ثالثة في الآية تحققت. فلماذا - وهنا السؤال - يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم في قضية غيبٍ كهذه وماذا كان يمكن أن يحدث لقضية الايمان كله ودعوته كلها لو لم يصدق القرآن الكريم في هذه القضية التي تنبأ بها وفي كل حرف قاله؟ (١)

٥ - كذلك وجدوا القرآن معجزاً من الناحية التشريعية: اجتماعياً، وجنائياً واقتصادياً.. فمن كل تلك الجهات كان معجزاً:

أ - فقد ثبت أن جميع أساليب الناس البشرية مثل منطق أرسطو أو المنطق الرياضي للفيلسوف رسل أو حتى العلوم الرياضية لا بد أن يتوفر لها الربط بين الشكل والمضمون وتثبيت نظام معين في تركيبها حتى يمكن أن تصلح مقياساً ثابتاً لمعرفة الخطأ والصواب. وقد ثبت من الواقع العملي أن هذه القياسات والفلسفات البشرية عاجزة عن معرفة كل خطأ وكل صواب.

ب - ثبت أن القرآن لا يتغيّر بخصوص مفرداته حيث تظل كل كلمة على نصها بلا تبديل ثم لا يمكن تحريفها، عن عدد مواضعها التي خصّها الله فيه. هذا كله يجعل القرآن أساساً ثابتاً لكل مقياس يقيني لمعرفة الخطأ والصواب في كل زمان ومكان.

جـ - والقياسات البشرية تُقدّم رموزاً موجزة وهذه قابلة للهدم والفناء لذا تظهر فيها الأخطاء كل مرة بينما كلام الله جعل - الكلمات، والآيات، والسور، لا تقبل التغيير والتبديل والزيادة والنقصان.

د - القرآن أيضاً تضمّن معاني يتفق عليها الناس بحيث يصبح الشكل

---

(١) مجلة الأقصى. القوات المسلحة الاردنية ١٩٧٨. من مقال معجزة القرآن للشيخ محمد متولي شعراوي.

والمضمون موسوعة لمعرفة الخطأ والصواب في شتّى الأمور وهذا ما تعجز عنه الفلسفات البشرية. (١)

****

هذه وجوه إعجاز للقرآن الكريم، وهي دليل إلهية المصدر، ولكن ثمة جوانب أخرى تعتبر أدلة على إلهية مصدر القرآن كذلك وهي لا تقل أهمية عن تلك ويطول تفصيل القول فيها فرأينا أن نفرد لها فصولاً مطولة فكان تصنيف هذا الكتاب. وإذا ما نظرنا بعدها إلى القرآن الكريم من جميع تلك الوجوه، وغيرها، مجتمعة لوجدنا أنفسنا عندها وقد ملئنا عجباً من هذه المعجزة القرآنية.

وهذه الجوانب هي:

الاعجاز البلاغي للقرآن الكريم،
والاعجاز العلمي،
والاعجاز العددي.

فلننتقل إلى رحاب القرآن، ثم لنقف أمام تلك الأبواب وقفات قصيرة، وننظر عبرها إلى تلك الآفاق الرائعة.

«ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين» ٢/ البقرة.

(١) مجلة الوعي الاسلامي. السنة ١٤. العدد ١٦٥ أغسطس ١٩٧٨. من مقال كتاب الشهر: القرآن القول العضل بين كلام الله وكلام البشر تأليف محمد العفيفي وعرض وتحليل سالم البهنساوي. ص ٦٦.

الباب الأول

الاعجاز البلاغي

١ . تمهيد
٢ . الاعجاز البلاغي عند المتقدمين
٣ . الاعجاز البلاغي عند المحدثين
٤ . شواهد على الربط في البناء والتركيب القرآني (الاعجاز البنائي):

أ - الترابط بين الكلمات القرآنية .
ب - الترابط داخل السورة الواحدة .
جـ - وحدة القرآن (الترابط بين سور القرآن الكريم ككل) .

١ - تمهيد: -

إن الأقرب للصواب تسمية هذا الباب بالاعجازاللغوي حيث نتعرض فيه للجانب البلاغي ثم للبناء القرآني الذي هو في الأعم الأغلب مجال لغوي. ولكننا نجد البلاغة تتسع في معانيها لتشمل البناء والتركيب.

لقد نزل القرآن الكريم على قوم عرفوا بالبلاغة والفصاحة وحُسْنِ الأداء وجمال المنطق وسلاسة التعبير، نزل عليهم وهم في الذروة من البلاغة وفي القمة من البيان فلما سمعوه انبهروا وذهلوا وهم ملوك الفصاحة وأساطينها ووجدوا أنفسهم عاجزين أمام تحديه لهم بمشاكلته والاتيان بقرآن مثله ثم بعشر سور ثم بسورة من مثله وبقي التحدي قائماً وسيظل إلى أن تقوم الساعة والانبهار به يشتد ويزداد ويكفي لبيان هذا أن الله تعالى أنزل الكتاب وتكفل بحفظه ونحن اليوم بعد أربعة عشر قرناً من الزمان نتلوه بالحروف نفسها التي تنزل بها: «**إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون**» ٩ / الحجر.

لقد تحدى القرآن العرب «**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار..**» ٢٣، ٢٤/ البقرة. هو إذن إمعان في التحدي وخلاص إلى النتيجة التي وصلوا إليها وهي التسليم والعجز. أليس في ذلك عجب؟ عجب لأن من عاداتهم المساجلة والمعارضة. وعجب لأنهم أمة البيان وبهتوا أمام البيان العظيم. وعجب لأنهم فعلوا كل شيء للقضاء على الدعوة الجديدة ثم سكتوا عن أبسط الأشياء وهو الكلام. وعجب أن وارثي الكلام من شعرائهم وأئمة البيان عندهم أصبحوا مسلمين كحسان بن ثابت والخنساء وبجير وكعب والحطيئة ولبيد، وهم الأعلم باللغة والأبصر فيها ولبعضهم لسان أشد من السيف ومع ذلك كانت مواقفهم بخلاصتها: التسليم المطلق. (١)

أليس عجباً أن تجد الخنساء الشاعرة وهي التي قالت لحسان بن ثابت في سوق عكاظ حين أنشدها:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدةٍ دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرقٍ ... فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

(١) سعيد حوى. المرجع السابق نفسه. وكذلك المقال أعلاه.

ضعفت افتخارك وأبرزته في ثمانية مواضع. قال وكيف؟ قالت قلت: لنا الجفنات والجفنات ما دون العشر، ولو قلت الجفان لكان أكثر. وقلت الغر والغرة البياض في الجبهة ولو قلت البيض لكان أكثر اتساعاً. وقلت يلمعن ولو قلت يشرقن لكان اكثر لأن الاشراق أدوم من اللمعان. وقلت بالضحى ولو قلت بالعشية لكان أبلغ في المديح فالضيف بالليل أكثر طروقاً. وقلت أسيافنا والأسياف دون العشر ولو قلت سيوفنا لكان أكثر. وقلت يقطرن فدللت على قلة القتل ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم. وقلت دما والدماء أكثر من الدم. وفخرت بمن ولدت ولم تفتخر بمن ولدوك.

أليس عجباً أن تجد هذه الشاعرة النقادة نفسها ـ وهي في الذروة من البلاغة ـ والفصاحة ـ والتي آمنت بالاسلام والقرآن ثم إذا بها تكف عن نحيب أخيها صخر الذي ملأت الدنيا به لتفقد بعد ذلك أولادها الأربعة في معركةٍ واحدة ـ في الاسلام ـ فلا تذرف الدمعة بل حمدت الله على استشهادهم. لقد آمنت بالقرآن إيماناً غير معه أعماقها كما غير العرب أجمعين. إذن فقد شعر العرب الأقحاح الفصحاء يوم ذاك أن هذا القرآن الذي يسمعونه ليس بقول بشر.

روي أن الوليد بن عتبة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ.. فقرأ عليه: «**إن الله يأمُرُ بالعدلِ والاحسانِ وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون**» ٩٠/ النحل، فقال: أعدْ، فأعاد، فقال: (والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر!)[١] والوليد لا شك قد سمع كثيراً من كلام العرب البليغ والحاض على مكارم الأخلاق ولكن روعة القرآن وإلهيته جعلتاه يقرر وهو ذاهل متعجب وقد أخذته الدهشة: (ما يقول هذا بشر!)

وعندما سئل الغزالي عن معنى الاختلاف في الآية: «ولو كان من عند غير اللهِ لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» ٨٢/ النساء. قال: ليس المراد نفي اختلاف الناس فيه بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن، فالمختلف من الكلام لا يشبه أوله آخره في الفصاحة، وإن بعضه يدعو إلى الدين والبعض إلى الدنيا، وبعضه على وزن الشعر وبعضٌ مُنزَحِفْ وبعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة وبعض على أسلوب يخالفه. ولكن كلام الله منزه عن هذه الاختلافات فهو على منهاج واحد في النظم ومرتبة

(١) عبدالكرم الخطيب. المرجع السابق نفسه. ص ١٨٦ من الجزء الثاني.

واحدة في الفصاحة فلا يشتمل على الغث والسمين ثم إنه مسوق لمعنى واحد، فلا تصادف اللسان يتكلم في ثلاث وعشرين سنة على غرض واحد ومنهج واحد وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بشراً تختلف أحواله فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجد فيه اختلاف كثير، ولوجد فيه كثير من تناقضات عيش الانسان الذي تتغير أفكاره ومشاعره ويتحول سلوكه حالاً بعد حال. ولكن شأن القرآن غير هذا فهو كيان واحد، بل آية واحدة، بل كلمة واحدة هي (الحق).[١] «**وبالحق أنزلناه، وبالحق نزل، وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً**» ١٠٥/ الاسراء.

(٢) المرجع السابق نفسه. ص ١٨٣.

٢ ـ الاعجاز البلاغي عند المتقدمين

سنتعرض لوجهات نظر في هذا الوجه الاعجازي الذي بحثه المتقدمون وسنتعرف على أقوال بضع رجال منهم وسوف نقف على رأي أو خلاصة واحدة لما ذهبوا إليه أجمعين فاذا انتهينا إلى تلك النقطة جاز لنا أن نتعرف ـ عن بينة ـ على رأي المحدثين في هذا الوجه نفسه.

أ ـ يقول أبو سليمان محمد بن إبراهيم الخطابي (٣١٩ ـ ٣٨٨ هـ): (إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم. وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة. واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني.. واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه.. مودعاً أخبار القرون الماضية.. منبئاً عن الكوائن المستقبلة عليه.. ومعلوم أن الاتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قُدَرُهم فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله.. وقد كانوا يجدون له وقعاً في القلوب وقرعاً في النفوس يريبهم ويحيرّهم.) (١) حتى غدت جموعهم: « ..إذا تُتلى عليهم آياتُ الرحمن خروّا سُجّداً وَبُكيّاً » ٥٨/ مريم.

ب ـ أما القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ـ ٤٠٣ هـ) فهو يجد القرآن بديع النظم عجيب التأليف متناهياً في البلاغة إلى الحد الذي يُعلم عجز الخلق عنه. ثم يكشف آيات الاعجاز في نظم القرآن بجوانب منها:

١ ـ ما يرجع إلى جملة القرآن كله: فنظم القرآن خارج في تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه عن المعهود من جميع كلام العرب، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد. ويتعرض القاضي الباقلاني لأساليب وأنواع الكلام ويبين أنه ليس من باب السجع أو الشعر أو الكلام الموزون غير المقفى أو المعدل الموزون غير مسجع..

٢ ـ ما يرجع إلى أن ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصريف البديع والمعاني والفوائد والحكم، والتناسب في البلاغة والتشابه في

---

(١) عبدالكريم الخطيب. المرجع السابق نفسه. الجزء الاول ص ١٦٧.

البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر. فكلام الآدمي إن آمتدّ وقع فيه التفاوت وبان عليه الاختلاف. والقرآن في عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين مما يقع مع البليغ الكامل والشاعِر المْفلّق والخطيب المِصْقع.

٣ ـ إن الكلام يتبين فضله وفصاحته بأن تذكر فيه الكلمة في تضاعيف كلام كالدُرّة في سلك خرز، ولكنك ترى الكلمة من القرآن يُتَمثّلُ بها في تضاعيف كلام كثير فاذا هي واسطة العقد.[١] فالعجيب في انفراد كل كلمة بنفسها حتى تصلح أن تكون عين رسالة أو خطبة فاذا ألفّت ازدادت حُسناً. ويضرب مثالاً على ما ذهب إليه فيقول: تأمل قول الله تعالى: «فالق الاصباح، وجعل الليل سكناً، والشمس والقمر حسباناً، ذلك تقدير العزيز العليم.» ٩٦/ الأنعام. أليس كل كلمة منها في نفسها غرة فاذا ألفت ازدادت حسناً.

ويضيف القاضي الباقلاني إلى ما ذهب إليه إضافات أخرى فهو يبين أن القرآن الكريم كذلك يصدر عن علو الأمر ونفاذ القهر. ويتجلى في بهجة القدرة، ويجمع السلاسة إلى الرصانة والسلامة إلى المتانة والرونق الصافي والبهاء الضافي) (ولست أقول: شمل الإطباق المليح والايجاز اللطيف والتعديل والتمثيل والتقريب والتشكيل. وإن كان قد جمع ذلك كله وأكثر منه).[٢]

جـ ـ أما أبو الحسن عبد الجبار ـ القاضي (ـ ٤١٥ هـ) فعنده أن الفصاحة التي انفرد بها القرآن تقوم على جزالة اللفظ وحسن المعنى ثم يأتي هذا كله في نظم فريد لم يسبق إليه فيكون ثوباً جديداً من أثواب الحسن يزداد الكلام الفصيح بها فصاحة وبلاغة. فهو ينظر إلى الفصاحة على أنها تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة معنى تؤديه مفردة أو مركبة مع غيرها. فالنظم عليه المعول في بلاغة الكلام وفصاحته وهو يدور في مجالات ثلاثة: اختيار الكلمة في ذاتها، ثم اختيار (الوظيفة) التي تؤديها في مجتمع الكلمات التي ترتبط بها ثم اختيار المكان المناسب لها لتقوم فيه بأداء وظيفتها على أتم وجه وأحسنه.[٣] ثم يخرج عبدالجبار من هذا كله وبعد وزنه للقرآن بموازين البلاغة والبيان العربي إلى أنه ـ أي القرآن الكريم ـ يرجح كل كلام عرفته العرب، ويعلو على كل بيان أخرجته في نظمها ونثرها، فكان القرآن بهذا الحساب في مقام تقصر عنه قوى البشر

---

(١) المرجع السابق نفبسه. ص ١٨٦.

(٢) المرجع السابق نفسه. ص ١٨٨.

(٣) المرجع السابق نفسه. ص ٢١٦.

جميعاً فكان بذلك معجزاً.

د - وأما عبدالقاهر الجرجاني، أبو بكر بن عبدالرحمن (- ٤٧١ هـ) فهو مبدئياً يرى أن ما أعجز العرب في القرآن الكريم مزايا نظمه وخصائص في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادىء آيه ومقاطعها ومجاري ألفاظه ومواقعها وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة كل عظة ومع كل صفة وبيان، وبهرهم أنهم تأملوه فلم يجدوا فيه كلمة ينبو بها مكانها، أو لفظة ينكرها شأنها بل وجدوا اتساقاً بهر العقول ونظاماً والتئاماً وإتقاناً وإحكاماً لم يدع في نفس بليغ منهم موضع طمع فأخرس الألسن عن المعارضة.(١)

ثم يُقّرر مذهبه في الاعجاز البلاغي فيجعل اللفظ والمعنى كياناً واحداً للصورة الكلامية فليس عنده في الكلام لفظ ومعنى وإنما صورة بيانية تؤلف بين الاثنين. ويُفّصل ذلك بأنه يُؤتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويُختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له وأحرى أن يكسبه نبلاً ويُظهر فيه مزية. فاللفظ وان عَظُمَ نظمه فلا يُعطي الصورة البيانية فصاحتها وبلاغتها إلاّ إذا جاء إلى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته وأخص به واكشف عنه وأتم له. فهو يقرر أن مفردات اللغة لها دلالات موضوعة لها فلا يمكن أن يقوم وجه لتقييم هذه المفردات في ذاتها فهي حين تجتمع إلى كلام آخر وتنتظم معه تنطلق منها طاقات وتنكشف أو تختفيّ منها جوانب لم يكن من المستطاع أن تنكشف أو تختفي وهي مفردة فهل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها؟

ويوضح مذهبه في بلاغة القرآن الكريم بمثال. قال تعالى: «**وقيلَ يا أرضُ ابلعَي ماءَكِ، ويَا سَماءُ أقلعي وغيضَ الماءُ وقُضي الأمرُ واستَوتْ على الجُودِيِّ وقيل بُعداً للقوم الظالمين**» ٤٤/ هود. فيقول: يكفيك ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض وإن لم يعرض لها الحسن والشرف ألامن حيث لاقت (أي صلحت، من اللياقة وهي الاستقرار) الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا إلى أن تستقريها إلى آخرها وأن الفضل تناتج ما بينها وحصل من مجموعها. وهل ترى لفظة منها لو أخذت وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية؟ ومعلوم أن مبدأ العظمة في الآية أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداءُ بـ (يا) دون (أي) نحو يا

(١) المرجع السابق نفسه. ص ٢٣٤.

أيتها الأرض، ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال (إبلعي الماء)، ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها، ثم أن قيل (وغيض الماء) فجاء الفعل على صيغة (فُعِلَ) الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك بقوله (وقضي الأمر)، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو: (استوت على الجودي)، ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة (قيل) في الخاتمة بـ (قيل) في الفاتحة!

أفترى في شيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالاعجاز روعة وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها: تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق؟ أم كل ذلك لما بين الألفاظ من الاتساق العجيب؟ فلا مزية للمفردات بذاتها فهي دلالات وأسماء لمسميات ولكن يختلف الأمر حين ينضم بعضها إلى بعض فينتظم منها كلٌّ وتجتمع من انتظامها معان. فثمة ترابط وثيق بين اللفظ والمعنى يعطي صورة تامة وبالقدر الذي يكون في الصورة من صحة المعنى ودقته وجمال اللفظ واتساقه يكون حظها من الفضل والإحسان بين الكلام.[1]

هـ - وأما ما ذهب إليه القاضي عياض (الحِصْبيّ السبتي ٤٧٦ - ٥٤٤ هـ) فإن الاعجاز البلاغي يتأتّى من وجوه: حسن تأليفه - أي القرآن الكريم - والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه، وصورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت عقولهم فيه وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر.[2]

فإذا ما شئنا أن نُلخص نظرة المتقدمين إلى الاعجاز البلاغي للقرآن لوجدناه يجمع بين أمور هي في جملتها وبكلمة واحدة: -

(النظم الفريد، العجيب، الحسن، المخالف لأساليب العرب، والصور البيانية التي تؤلف أبدع تأليف بين أفصح الألفاظ الجزلة وأصح المعاني الحسنة).

« الرتلك آياتُ الكتابِ المبين. إنّا أنزلناهُ قرآناً عَرَبياً لعلكم تعقلُون » ١، ٢/ يوسف.

---

(١) المرجع السابق نفسه. ص ٢٤١

(٢) المرجع السابق نفسه. ص ٢٨٨.

٣ - الاعجاز البلاغي عند المحدثين

إذا ما تعرضنا لما جاءبه الرافعي قبل نصف قرن تقريباً حول إعجاز القرآن البلاغي والذي يقوم على الألفاظ والأساليب - كما هو عند المتقدمين - فإننا نراه لا يخرج كثيراً عن رأي من سبقوه، فهو يكاد يشكل حلقة وصل بين القديم والجديد. فهو يرى أن استقرار الحرف في الكلمة وتوازن الكلمة مع الكلمة في الجملة وتجاوب الجملة في الآية: كل هذا من شأنه أن يقدم أسلوباً فريداً في النظم أعجز العرب والأمم أجمعين.(١)

وهكذا نجد أن الخلف (المحدثين) نظروا في هذا الجانب الإعجازي متتبعين آثار السلف (المتقدمين)، ثم إنهم أكملوا الطريق فخلصوا إلى آراء هي في أغلبها قريبة الصلة من آراء من سبقوهم. وسنعرض مثالاً يعطي رأياً في الاعجاز البلاغي نستطيع إعتباره نموذجاً للنظرة الحديثة، وهي أقرب ما تكون إلى الرؤية أو القراءة الجديدة لأسرار القرآن البلاغية ليس أكثر. حتى إذا ما انتقلنا بعدها إلى الفقرة الأخيرة من هذا الباب سنجد هذه الرؤية أو القراءة الجديدة تأخذ طابعاً خاصاً مميزاً. وقبل أن نستبق الأقوال في ذلك، لنأخذ مثالنا على الإعجاز البلاغي عند المحدثين والذي يمثله برأينا عبدالكريم الخطيب في كتابه إعجاز القرآن: في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها.

يقول الخطيب: إننا نجد في القرآن الكريم أموراً كثيرة انفرد بها عن كلام البشر فخلصت له دون غيره، ومن هذه الأمور:

١ - الصدق المطلق المصفى: فكان للقرآن سلطانٌ متمكن من القلوب والعقول. وهو يتناول الحقائق كلها: دينية، دنيوية، كونية، اجتماعية، تشريعية. فاذا بها أثبت ما تكون مع امتداد الأزمنة لأنها تقررت على الحق المطلق. أما كلام البشر فلن يخلو من شوائب الطبيعة البشرية والهوى الشخصي. وللتدليل على هذا الصدق المطلق المصفى سنأخذ آيات ننظر فيها لنجد الصدق في الكلمات والصدق في معانيها والصدق في تراكيبها ونظمها وفي كل ما أخبرت به:

«إن اللهَ فالقُ الحَبِ والنوى، يُخْرِجُ الحيَّ من الميتِ ومخرجُ الميتِ من الحي،

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٣١٣. وانظر: مصطفى صادق الرافعي. إعجاز القرآن الطبعة الثانية. القاهرة ١٩٢٨.

ذلكمُ اللهُ فأنىّ تؤفكون » ٩٥/ الأنعام. إن الله فالق الحب والنوى تشيرإلى حياة تتفجر من جماد فتراها في قوله: يخرج الحي من الميت، فهي صورة عن بعض قدرته تعالى ثم صورة مقابلة هي إخراج الميت من الحي فالله تعالى: (فالق الحب والنوى... ومخرج الميت من الحي) فالثانية معطوفة على الاولى وجملة (يخرج الحي من الميت) شارحة لقوله تعالى: فالق الحب والنوى. وهذا القول ينقلنا للآية التالية:

« فالقَ الإصْباح، وجَعَلَ الليّلَ سَكناً، والشمسَ والقمرَ حُسبَاناً، ذلك تقديرُ العزيز العليم » ٩٦/ الأنعام. والسؤال: لماذا لم يأتِ النظم على وجهٍ واحد: فالق الاصباح و (جاعل)الليل سكناً، أو: (فلق) الاصباح وجعل الليل سكناً؟ والجواب أن فالق: التعبير باسم الفاعل، دلالة على التجدد والاستمرار فهو إصباح يتولد كل يوم. أما جعل فان التعبير بالفعل يدل على أن هذا الأمر المتّولد عنه قد وجد على الوضع الذي أوجده الله سبحانه عليه فلا تجدد أو تبدّل بل الدلالة على مجرد وجود الشيء على الصورة التي وجد عليها ولأداء الوظيفة التي خلق لها (الليل، والشمس، والقمر). وكما رأينا في فالق الحب والنوى فهي حياة تتفجر من جماد كذلك نرى الحياة المتدفقة من تفلق الاصباح ولاحظ هو ليس صبحاً وإنما إصباح: فهو جنين مضمر في أحشاء الليل، فالإصباح هو الذي يفلق كما في الحب والنوى (أليس في هذا أيضاً - كما سترى في الاعجاز العلمي - إشارة إلى أن الليل هو الأساس (جعل الليل) وأن الصبح طاريء، مؤكداً الحقيقة العلمية في ظلام الكون) فالحب والنوى جنين الحياة التي تضمرها الثمرة في جوفها كما أن الاصباح جنين الحياة والنور الذي يضمره الليل السرمدي، فاذا ما فلقتها يد القدرة (الحب والنوى، والاصباح) انطلقت الحياة وانتشر النور.

وسؤال آخر: لماذا لم تجيء هذه الآية على نسق السابقة فيقال: (فالق الاصباح والليل) كما قيل من قبل (فالق الحب والنوى) فتتم المقابلة والموازنة؟ والجواب: أن الفلق لا يكون إلا عن ولادة جديدة وحياة، بينما جعل فهو فعل جامد وصيرورة مغلقة، لا شيء بعد الحدث الذي يجيء من إحداث الفعل، (جَعْلٌ): هكذا لا مُعقّبات له، ليلٌ وسكون وهمود![1] فلاحظ الصدق المطلق في البناء والكلمات والمعاني والدلالات.

---

(١)/ المرجع السابق نفسه. ص ١٩٣.

٢ - ومن الأمور التي انفرد بها القرآن الكريم عن كلام البشر:

علّو الجهة المنزل منها القرآن: وهنا يمكن أن نتذكر ما أشار إليه القاضي الباقلاني، ولكن ثمة معان جديدة أضافتها رؤية الخطيب لبلاغة القرآن فهو يقول إن هذا العلو رأيناه في تمكن القرآن من مكانه وثباته في مكانته التي قام عليها، فلم يتأثر بالأحداث العارضة التي كانت تدور في محيط الدعوة الاسلامية، فلم يهتز أو يتأثر بما تهتز له الحياة أو يتأثر به الناس. فالقرآن ينزل في مكة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد أخذ عليه الأعداء كل سبيل وملكت عليه قريش كل أمر فلا يلتفت القرآن لهذا بل تتنزل آياته مدوية تتوعد قريشاً وتسوق رؤوسها لموارد الخزي في الدنيا ولعذاب الآخرة. فكلمات القرآن أبداً مشحونة بقوى تنبيء عن قوة وعظمة مصدرها فحيث تنزلت وتليت لا يزايلها علوها ولا تنفصل عنها تلك القوة والعظمة. أليس، في النهاية، هو كلام الله عز وجل وهو صفة من صفاته سبحانه وتعالى. فالقرآن في كل حال منه - أوامر ووعيد ومواعظ وقصص - هو دائما في هذا العلو الشامخ الذي يشعرمعه المستمع بالتضاؤل. ولو كان من قول البشر لوجدنا حال الانسان منعكساً فيه: تقوى نفسه فتقوى معها كلماته، وتضعف نفسه فتضعف كلماته.

٣ - وأمر ثالث انفرد به القرآن عن كلام البشر ذلك هو: حسن الأداء: أي النظم الذي نظمت فيه المعاني القرآنية على هذا الاسلوب الذي عرف به القرآن، فصدق القرآن وعلو جهته قد جاءت في أروع صورة من الأداء ونظم الكلام. جاء القرآن منفرداً بنظمه في هذا الاسلوب الفريد العجيب. فالعرب عرفت الشعر الموزون المقفى، والنثر المرسل، كما عرفت النثر المسجوع في خطب الخطباء والحكماء وفي سجع العرافين والكهان، ولكنها أبداً لم تعرف مثل هذا الاسلوب الجديد الفريد.

فالنظم القرآني هو أبين وجه من وجوه الاعجاز البلاغي وأول ما يبدو في نظمه تلك الصورة الفريدة التي جاء عليها في بناء كيانه وفي رسم صورته وتلوينها وتحديد معالمها فاذا به لا يشبه غيره ولا يشبهه غيره: فالآية هي الوحدة التي بني منها القرآن - وهي ليست بيت شعر ولا جملة نثر ولا مقطع سجع - وكل آية لها فاصلة تنتهي بها - وليست هذه الفاصلة قافية شعر ولا حرف سجع - فهو: نظم فُصلَ في آيات، وآيات ختمت بفواصل.

وقد وردت فواصل القرآن الكريم متماثلة كقوله تعالى: «والطور. وكتاب مسطور، في رق منشور» ١، ٢، ٣/ الطور. ووردت متقاربة كقوله تعالى: «ق، والقرآن المجيد. بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب.» ١، ٢/ ق. والفاصلة ظاهرة قرآنية واضحة جعلت القرآن نحواً جديداً من أنحاء الكلام العربي. فاذا كان الكلام العربي قبل القرآن هو الشعر والنثر، فانه بعده أصبح: شعراً ونثراً وقرآناً.(١)

وما كانت الفواصل لمقتضى السجع والقافية - كما قد يُظن أو يُتّوهم - ولكن إحكام من الله عز وجل، فقد تُساقُ الآيتان مساقاً واحداً وتختلف فاصلتاهما كقوله تعالى: «.. وإنْ تَعدوُا نعمتَ اللهِ لا تحْصوُها إن الانسانَ لظلومٌ كفّار» ٣٤/ إبراهيم. «وإنْ تَعدوُا نعمةَ اللهِ لا تَحصوُها إنّ اللهَ لغفورٌ رحيم» ٨١/ النحل. ففي الاولى وصف المُنْعَم عليه - الانسان - وفي الثانية وصف المنعم - الله عز وجل -، فبالاولى يقول عز وجل: أنا المعطي وأنت الآخذ فحصل لك - أيها الانسان - عند أخذها وصفان: كونك ظلوماً وكونك كفاراً. ولي عند إعطائها صفتان: أقابل ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي. كما أن سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الانسان وما جبل عليه فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه إن الانسان لظلوم كفار، ففي الآية ٢٨ من السورة نفسها يقول عز وجل: «ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار» ٢٨/ ابراهيم. وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى وإثبات الوهيته وتحقيق صفاته وذكر النعم الكثيرة التي أسبغها فناسب ذكر وصفه بأنه غفور رحيم. ففي السورة نفسها نجد الآيات: «وما بِكُم من نعمةٍ فمنَ اللهِ..» ٥٣/ النحل. «...كذلكَ يُتّمُ نعمتَهُ عليكُمْ لعلَكُم تُسلِموُن» ٨١/ النحل. «فكلُوا مما رَزَقَكُمُ اللهُ حلالاً طيباً وآشكرُوا نعمَتَ اللهِ..» ١١٤/ النحل. فالشكر على النعم يقتضي الغفران والرحمة - كما شاء الله - بينما الظلم في النعمة والكفر بها يقتضي الاحلال بدار البوار.

كما تأتي الفاصلة - أحياناً أخرى - في موضعها مستقرة مطمئنة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلق الفرع بأصله، كقوله تعالى:

«قُلْ أرأيتُم إنْ جعَلَ اللهُ عليكُمُ الليلَ سَرْمَداً الى يومِ القيامةِ مَنْ إلهٌ غيرُ اللهِ يأتيكُم بضياءٍ أفَلا تَسْمعُوْن» ٧١/ القصص.

---

(١) المرجع السابق نفسه. ص ٢١٥.

«قُلْ أرأيتُم إنْ جَعَلَ اللهُ عليكُمُ النهارَ سَرْمَداً الى يومِ القيامةِ مَنْ إلهٌ غيرُ اللهِ يأتيكُم بليلٍ تسكُنُونَ فيهِ، أفَلا تُبْصِرُون» ٧٢/ القصص.

فلو كان الكلام بشرياً لما كان فرق في تقدير الناس بين السمع والبصر فيما دعُي إليه كل منهما ولأمكن أن يُدعى السمع في النهار ويُدعى البصر في الليل دون أن يكون في ذلك ما يُلفت النظر إلى شيء من المفارقات بين السمع والبصر: ذلك في حساب الناس. ولكن عند العليم الحكيم كانت الأذن هي مدخل داعي الحق لايقاظ عقولهم الخامدة لُتفكّر، فاذا ما أطبق الليل وحُجب النظر جاءت الفاصلة تدعوهم لاستعمال تلك الحاسة التي لا تنفع - عندها - غيرها من الحواس في كشف شيء مما هم فيه (أفلا تسمعون؟) وتأتي الفاصلة في الآية الثانية تدعو نيام النهار، حيث جعلت الآية النهار سرمداً أبداً لا يعقبه ليل، لينظروا (أفلا تبصرون؟) فالعين في حال كهذا هي المدخل المكين إلى عقولهم للنظر والتدبر.

(وهنا أيضاً نتعرض للصدق القرآني ولو أن هذا ما يمكن بحثه والنظر فيه بباب الاعجاز العلمي، فالله عز وجل أشار في بدايته بالليل السرمدي أنه الأصل في الكون كما أثبت العلم فالكون في ظلام دامس. ثم انظر كيف جاء العلم ليكتشف مؤخراً - ومتأخراً - أن السمع وحده - كما قرر هنا القرآن الكريم - هو وحده الذي يعمل حال النوم: كل الحواس تتعطل إلا السمع، فكان الأعظم إعجازاً أن تبدأ آية الليل والتقريع بـ (أفلا تسمعون؟). وانظر في قوله تعالى في سورة الكهف: «فضَرَبْنَا على آذانِهم في الكهفِ سنينَ عَدَداً» ١١/ الكهف. فالقرآن لم يضرب على أعينهم أو أي من حواسهم الأخرى فللمكث في النوم سنين كان الضرب على الآذان وتعطيل هذه الحاسة، فأثبت الحقيقة العلمية في إعجاز بلاغي عظيم. كما لا يخفى أن الأكثر تعقيداً في الحواس والأعظم خلقاً هي الأذن لا البصر كما قد يتوهم. ولتأكيد كل ذلك نجد القرآن في كل آياته يقدم السمع على البصر، فلا تفاوت أو اختلاف).

هذا إذن جانب مضيء من روائع الاسلوب القرآني الذي نجده يأتي فريداً بلا أطوار يتقلب فيها أو إسهامات بشرية عديدة للتعديل والتقويم والتدعيم كما هو الحال في كل فنون آداب الأمم، فهي وليدة أزمان وأطوار وجماعات. والقرآن جاء مرة واحدة - على امتداد ٢٣ سنة - باسلوبه الفريد الفذ الذي حوى من كل شيء: فلسفات عالية، ومعارف مشرقة، ومباديء وأحكام، وعلوم، بأبلغ أسلوب وأجمله. أسلوب جديد من أساليب القول يخرجها به ويجليها فيه، فذروة الفلسفة والحكمة

والعلم والأدب تخرج في أسلوب هو الذروة العليا من ذرى الأدب. ثم يتحدى الله بعد ذلك الاتيان بمثله أمة البلاغة والفصاحة والبيان.

«قُلْ لئِنِ اجتمعتِ الانسُ والجِنُّ على أن يأتُوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتُون بمثلِهِ ولو كانَ بعضُهُمْ لبعضٍ ظهيراً.» ٨٨/ الاسراء.

وبعد استعراض الخطيب لكل ما تقدم مما يتميز به القرآن الكريم عن كلام البشر يقرر أن القرآن الكريم ليس من قول بشر لا من حيث أنه نظم معجز وحسب بل لأن الطبيعة البشرية لأي إنسان مهما بلغ من التام والكمال البشري لا تتسع - هذه الطبيعة - لأن تتعلم غاية العلم والحكمة ثم أن تصوغها في هذا الاسلوب المبتدع المعجز ثم أن تستنبتها في الحياة وتملأ بها مشارق الأرض ومغاربها. إن ذلك لا يكون لانسان أبداً.[1]

وهكذا نجد أن هذه النظرة لاعجاز القرآن البلاغي هي صورة تجمع في أعطافها ما جاء به المتقدمون لتضيف عليه شيئاً من الاضافات فإذا بها امتداد لمسيرة الماضي الخيرة على الرغم من سيطرة الطابع الأولي وتأثيره كما لاحظنا مما عرضناه حتى الآن. وظل الاعجاز البلاغي - تقريباً - كما قرره المتقدمون فهو ينبع من هذا النظم الفريد الحسن المخالف لأساليب العرب والذي يأتي بالصور البيانية التي تؤلف أبدع تأليف بين أفصح الألفاظ الجزلة وأصح المعاني الحسنة، يصدق في بنائه ومعانيه صدقاً مطلقاً، يشعر بعلو الجهة المنزل منها فلا يتأثر بالبيئة أو الأشخاص، مترابط البناء. وفي المعنى الأخير (الترابط البنائي) كانت لنا وقفة في الفصل اللاحق نطيل فيها القول فهو جانب آخر لدى المحدثين لم يطرقه المتقدمون، وإن هم فعلوا فانما هي إشارات بعيدة ضعيفة لا تكاد تفصح أو تبين.

---

(١) المرجع السابق نفسه. ص ٢٣٥.

٤ ـ شواهد على الربط المحكم في البناء والتركيب القرآني (الاعجاز البنائي)

«الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» ١/ هود.

لقد نظر المتأخرون في كتاب الله فاذا به ـ على اختلاف قضاياه ومواضيعه وعلى الرغم من طول مدة تنزيله ـ مترابط البناء، محكم التركيب، لا اختلاف فيه، أو تفاوت في أسلوبه قوة وضعفاً ما بين بدايته إلى نهايته. فتراءى لهم وحدة في الاسلوب وفي المعاني وفي الالفاظ لا تتأتى لأي كتاب من قول بشر يؤلف على مدى ثلاثة وعشرين شهراً فكيف في ثلاثة وعشرين عاماً ثم لا تجد فيه أثراً لقضايا مؤلفه الشخصية، ولا أثراً للبيئة التي يعيشها، ولا أثراً لأحداث المجتمع الذي يتفاعل معه: ثم يبقى ـ بعد ذلك كله ـ متفرداً متميزاً في أسلوبه المتماسك القوي الذي ما عرف له مثيل من قبل ومن بعد.

وهذا كله ـ بلا ريب ـ قد نظر فيه المتقدمون ولا حظوه، ولكن المتأخرين كانت لهم نظرات أطول في ما يمكن تسميته بالاعجاز البنائي: الترابط في البناء التركيبي للقرآن الكريم، ذلك الانسجام، والوحدة التي تأتلف فيها أجزاؤه سوراً وآيات وكلمات. لقد وقفوا طويلاً أمام الترابط داخل السورة الواحدة ينتظم آياتها فاذا هي وحدة واحدة مترابطة، كما وقفوا أمام الترابط بين سور القرآن ككل فاذا بالقرآن وحدة واحدة مترابطة، وقبل هذا وذاك كانت لهم وقفات أمام ائتلاف وترابط كلمات القرآن نفسها. فهي إذن نظرة ـ إن لم تكن جديدة كل الجدة ـ مطولة وفاحصة للاعجاز البلاغي للقرآن الكريم من حيث بناؤه وتركيبه أو لنقل للاعجاز البنائي.

ومن خلال هذه الرؤية سنعرض لهذا الموضوع من جوانب ثلاثة:

أ ـ الترابط بين الكلمات القرآنية.

ب ـ الترابط داخل السورة الواحدة.

جـ ـ وحدة القرآن (الترابط بين سور القرآن الكريم ككل)

أ ـ الترابط بين الكلمات االقرآنية: ـ

وإن شئت فسمه الانسجام أو الائتلاف أو الاتصال فكلها ذات دلالات للمعنى نفسه.

إن القرآن الكريم في مفرداته وآياته وسوره متصل اتصالاً معجزاً جعله كالبنيان المتكامل بحيث لا يمكننا أن نحذف حرفاً من حروفه أو نغير موضعه فيه أو نزيد عدد حروفه أو ننقص منه. وهذا ـ لا شك بعكس كلام البشر الذي لا يمكن أن يتصل اتصالاً معجزاً ويترابط على هذا النحو الفذ الفريد فالبشر عاجزون عن تخصيص جملة واحدة من الكلام بحيث ظل ثابتة.

والمفردة القرآنية ذات مدلول واضح محدد بحيث تعتبر معه مصطلحاً له شكل ومضمون ثابتان ومتفق عليها. وبالوقت نفسه فان تكرار المفردة القرآنية يجعلها تحمل معنى جديداً بالنسبة للسياق الذي وردت فيه، وبالتالي فالمفردة القرآنية متعددة المواضع وليست مكررة فهي ليست مجرد حجر في مجرد بناء، وإنما هي خلية حية في بناء عضوي صاعد من منطق إلهي ومنته إلى منطق إلهي أي إن كل مفردة قرآنية تشكل منطلقاً من شيء ومنطلقاً إلى شيء بحيث لا يمكن أن يكون التعبير عن حقيقة من الحقائق مفهوماً إلا من خلال فهم وضعية هذه المفردة بذاتها أولاً، وبجدلها مع غيرها ثانياً وبالتشكيل البنائي كما هو وارد في القرآن آخر الأمر.[1]

أي إن للمفردة القرآنية وضعها كمصطلح منضبط من جهة، ثم إن لها وصفها الذاتي والجدلي والبنائي جميعاً من جهة أخرى، فلو أخذنا مادة «الخروج» لوجدنا لها محاور خمسة:

١ ـ التدليل على قدرة الخلق.
٢ ـ تعقب الحق للباطل.
٣ ـ اضطهاد الباطل للحق.
٤ ـ الهجرة من الظلمات إلى النور.
٥ ـ الارتداد من النور إلى الظلمات.

والآن لو أخذنا محوراً واحداً وهو المحور الأول الذي يدور فيه مصطلح (الخروج) في القرآن الكريم على قدرة الخالق لوجدنا أن التدليل (بالخروج) على قدرة

---

(١) مجلة الوعي الاسلامي. السنة ١٢. العدد ١٤٢. اكتوبر ١٩٧٦ مقال: حول مفهوم الخروج في القرآن. محمد احمد العزب ص ٤٧.

الخالق لا يدور في إطار واحد جامد لا يتجاوزه إلى ما سواه وإنما يدور في أطر متباينة ومتكاملة معاً بحيث تفضي بالنهاية الى تأكيد قضية القدرة الخالقية من كل الجوانب وعلى كل المستويات:

فللتدليل على قدرة التشكيل الحي «في مجال بشري» بازغ من اللاشيء يتألق «الخروج» في سياقه القرآني: «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم..» ٧٨/ النحل.

وللتدليل على قدرة الابداع «في مجال طبيعي»، خلقاً وتجميلاً، يتوامض «الخروج» في سياقه القرآني: «وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً..» ٩٩/ الأنعام.

وللتدليل على قدرة عمل الخالق «في مجال كوني» تختلط فيه حركة السُدم بحركة الجدل بين الوجود والعدم يترقرق «الخروج» في سياقه القرآني «تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي...» ٢٧/ آل عمران.

وللتدليل على قدرة المزج والفصل «في مجال كوني وبشري جميعاً» يتشامخ «الخروج» في سياقه القرآني: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى» ٥٥/ طه.

إن التدليل هنا لم يدر في إطار واحد متجمد وإنما هو قد دار في أطر متباينة ومتكاملة معاً، فمن مستوى التشكيل الحي في مجال بشري إلى مستوى الابداع في مجال طبيعي إلى مستوى العمل الخالق في مجال كوني إلى مستوى القدرة على المزج والفصل بين الأشياء والأضداد على مستوى كوني، وبشري، فيزيقي وميتافيزيقي جميعاً، وهذا يعطي حتمية أن المفردة القرآنية لا ترد في القرآن هكذا كما يكون أي من الاحجار في أي من البناءات، وإنما هي ترد في سياقها المعجز صاعدة من منطق الحتم ومنتهية إلى منطق الحتم على السواء. إن مفردة من مفردات هذا المصطلح «الخروج» لم تند لحظة واحدة عن مناطها الطبيعي والوضعي في كل السياقات القرآنية السالفة مما يوحي على الفور بقضية إعجاز اللغة من حيث قدرتها الرائعة على احتواء كل هذه المضامين.[١]

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٤٨.
انظر أيضاً: مجلة الوعي الاسلامي السنة ١٤ العدد ١٦٥ ص ٦٠. القرآن القول الفصل كتاب الشهر لمحمد العفيفي.
وانظر أيضاً مجلة الوعي الاسلامي السنة ١٦ العدد ١٨١ ص ٦. دراسات قرآنية محمد عزة دروزة.

وهذا لا شك دليل على الائتلاف والانسجام بين الكلمات القرآنية والترابط فيما بينها، فالقرآن مترابط الكلمات متصل الآيات، منتظم السور. رغم ما تحمله كل كلمة في انتقالها بين الآيات والسور من معان ومضامين إلا أنها تظل مصطلحاً محدد الشكل والمضمون.

هذه صورة من صور الارتباط والاتصال في البناء والتركيب القرآني، وإذا كنا في صدد المعاني المختلفة للكلمة أو المفردة الواحدة أو الجملة القرآنية حسب مواقعها، فإن هذا دليل واضح على إحكام البناء القرآني المعجز حيث لا توجد كلمة واحدة أو حرف واحد في غير موضعه ولغير غرض عظيم أريد له أن يؤديه ووظيفة يقوم بها فهو «كتاب أحكمت آياته..» ١/ هود. وللاستدلال على هذا المعنى العظيم ـ بأعماقه وأغواره وأبعاده ـ سنأخذ شواهد متفرقة من المفردات والكلمات القرآنية لننظر فيها وسنجد كم هو عميق سر كل كلمة وحرف، وأن كل كلمة في موضعها بميزان دقيق، ثم لا نجد الكلمة التي تعطينا المعنى المقصود الشامل بأبعاده كلها كالكلمة القرآنية فهي أخيراً: صادقة بمعناها الحرفي، واللغوي، والعلمي، والتشريعي، وبمعناها في كل الأزمان القديمة والمعاصرة، صادقة من كل وجه نظرت به إليها ومن كل جانب تطلعت منه نحوها ـ والشواهد التي سنطرحها هنا هي أمثلة قليلة عن الدقة العظيمة في البناء المحكم للفظ القرآني والحرف القرآني، فلا تفاوت أو اختلاف بل ربط وصلة وانسجام تام:

«ولكم في القصـــاص حيـــاة..» ١٧٩/ البقرة.

فمن أعظم الكلمات البشريــة اختصاراً لهذا المعنى قولهم (القتل أنفى للقتل)، فإذا قارنا الآية بهذه الجملة سنجد فروقاً:

١ ـ «القصاص حياة» أشد اختصاراً من (القتل أنفى للقتل).

٢ ـ في القول البشري التباس في ظاهره حيث القتل سبب لانتفاء نفسه، بينما لفظ القرآن واضح فيه أن نوعاً من القتل (القصاص) سبب لنوع من أنواع الحياة.

٣ ـ في القول البشري تكرار لكلمة القتل غير محمود.

٤ ـ وفيه أنه لم يشمل إلا نوعاً مما ينبغي القصاص فيه بينما الآية شملت القتل وغير القتل مما يكون القصاص فيه سبباً من أسباب الحياة الآمنة.

٥ ـ الآية طرقت المعنى مباشرة بدون لبس فمقصود القصاص حفظ الحياة الانسانية.

٦ - التعبير البشري كان قاصراً وموهماً وخاطئاً، فقد يدفع القتل لكثرة القتل كالقتل ظلماً. بينما نجد التعبير القرآني صحيحاً شاملاً غير موهم صادقاً في ظاهره وباطنه وكيف قلبته أعطاك معنى جديداً، وفي كلمتي القصاص والحياة معان عظيمة عدا الإحكام والاعجاز.

«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» ٦٠/ الأنفال.

هذا أمر للمسلمين للاستعداد في كل زمان ومكان. وشمول المعنى يأتي من حرف واحد هو (من). من: في اللغة للجنس. فمعنى (من قوة) التي فسرها الرسول بالرمي: أعدوا لهم ما تستطيعون إعداده مما يُرمى به أي من جنس ما يرمى به فشمل السهم والصاروخ والمدفع، كل أدوات الرماية. ومن رباط الخيل كذلك من جنس رباط الخيل فشمل كل ما يركب للمعركة: وكل الآليات كذلك[1]

«هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» ١٨٧/ البقرة.

فلننظر في هذا التعبير المختصر الذي عبر عن المرأة أنها لباس للرجل وكذلك الرجل بالنسبة للمرأة ولنتمعن في معانيه العديدة العظيمة:

١ - فشرط اللباس أن يكون خاصاً بصاحبه وملكاً له وحده وكذلك شرط المرأة أن تكون بالكلية لزوجها لا لغيره.

٢ - وشرط اللباس أن يستر العورة فكذلك المرأة لزوجها والعكس فالمرأة ساترة لعيوب الزوج وليست أداة فضيحة.

٣ - كما أن شرط اللباس الطهارة.

ولا يخفى مع كل هذا ما في الكلمة من أبعاد توحي - فوق الطهارة والستر والخصوصية - بالقرب واللصوق.

«نساؤكم حرث لكم» ٢٢٣/ البقرة.

فالحرث هي الأرض التي تفلح ليلقى فيها البذر المنتظر ثمره وجناه. والرجل مهمته إلقاء البذار، والمرأة مهمتها حضانته. والأرض لا تهمل بل يعتنى بها كما تختار صالحة للزراعة ثم إذا ألقي فيها البذار لا تترك مهملة، كما لا يلقى البذر في غيرها وينتظر الجني منها فهل نجد بعد ذلك كلمة أعظم وأدق وأعمق وأكثر شمولاً لكل هذا من كلمة الحرث؟

---

(١) سعيد حوى. الرسول صلى الله عليه وسلم. دار الكتب العربية (بيروت - دمشق) بيروت. الطبعة الثالثة. ١٩٧٤. ص ٧٨ - ٨١.

«فأوقد لي يا هامانُ على الطّين فاجْعَل لي صَرْحاً» ٣٨/ القصص.[١]

الطين المشوي يُسمى آجراً أو قرميداً بعد عملية صنعه. ترى هل تحل واحدة من الكلمتين في محل هذا التعبير العذب الصياغة والمحكم التركيب؟ كما أن اللفظ هنا قد استوعب معنى آخر فقد دل على أن الآجر غير موجود من ساعة الطلب وبهذا لفتة وإشارة إلى مدى حماقة فرعون وبطره وغروره إذ لم يقدر الزمن الكافي لعمل يحتاج إلى زمن طويل. ثم الختم بكلمة الصرح التي عبرت عن عظم البنيان المطلوب ومدى تكبره وجبروته وخيلائه.

«إنَّ الساعَةَ آتيةٌ أكَادُ أُخفيهَا» ١٥/ طه.[٢]

قال أبو عبيدة: **أخفيْتُ الشيءَ أُخْفِيه إخفاءً إذا كتمته**
وأَخْفَيْتُ الشيءَ: أُخْفِيه إخفاءً إذا أظهرته.
وقال التوزي: خَفَيْتُ الشيء وأخْفَيْتُه: بمعنى أظهرته وبمعنى كتمته.
وقال عبدالواحد اللغوي: أَخْفَيْتُهُ أُخفِيهِ إخْفَاءً هو الاكثر في معنى الكتمان.
وخَفَيْتُهُ أَخفيه خَفْيا هو الاكثر في معنى الاظهار.

فالكلمة (أُخفيها) تحمل المعنيين وهنا يبدو الاعجاز البلاغي باجتماع المعنيين وصدقهما في الكلمة الواحدة نفسها. فلشدة قرب يوم القيامة لا مجال لكتمها ولا وقت طويل يحتاجه الكتمان. كما أنه من جهة أخرى فان يوم القيامة قريب وأوشك أن أُظهرها فهي عما قريب ستظهر.

«ولا تأكلوا أموالَكم بينكم بالباطل وتُدلوا بها إلى الحكام لتأكُلوا فريقاً من أموالِ الناسِ بالإثم وأنتم تعلمون» ١٨٨/ البقرة.

فكلمة (تدلوا) تبيّن أن اليد التي تأخذ الرشوة هي اليد السُفلى، مع كون الحكام الذين تُلقى إليهم الأموال في الأعلى لا في الأسفل. فجاءت لتعبر عن دناءة المرتشي وسفله ولو كان في الذروة من حيث المنصب وموقع المسؤولية.

«ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض» ٣٨/ التوبة.
وكلمة (اثاقلتم) غير تثاقلتم، ففي حروف الأولى اندماج وتلاصق لتعبر أعظم تعبير عن جبن الجبناء الذين يلتصقون بالأرض خوفاً إذا ما دعوا إلى القتال.[٣]

---

(١) سعيد حوى. المرجع السابق نفسه. ص ٨١.

(٢) مجلة الوعي الاسلامي. العدد السابق نفسه. ص ٧٠.

(٣) مصطفى محمود. حوار مع صديقي الملحد. دار المتوسط. بيروت ص ٧٠.

«ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ نحن نرزقكم وإياهم» ١٥١/ الأنعام.
«ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاقٍ نحن نرزقهم وإياكم» ٣١/ الاسراء.

والفرق بين الآيتين لأسباب محسوبة، فعندما يكون القتل من إملاق معناه أن الأهل فقراء في الحاضر فكان التعبير نحن (نرزقكم) وإياهم. وعندما يكون قتل الأولاد خشية إملاق فالفقر هنا هو احتمال مستقبلي ولهذا كان التعبير مشيراً للأبناء: نحن (نرزقهم) وإياكم. فهو تقديم وتأخير موزون بحسبان.

«الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» ٢/ النور.
«والسارق والسارقة فاقطعوا أيديَهُما» ٣٨/ المائدة.

فالتقديم والتأخير هنا موزون بدقة. ففي الزنا كان تقديم الزانية على الزاني لما للمرأة هنا من دور ايجابي يفوق دور الرجل، كما أن آثار الزنا ستظهر على المرأة لا الرجل. أما في السرقة فكان تقديم السارق لايجابية دوره، كما أن الرجل هو المسؤول - عادة الانسانية قاطبة - عن البيت من حيث جلب الرزق مما يجعله عرضة لهذا الجرم بينما دور المرأة يبتعد بها عن التعرض - كالرجل - للسرقة.

«وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة» ٧٨/ النحل.
«وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة» ٢٦/ الاحقان.

فدائماً يُقَدم السمع على البصر. فالحقيقة العلمية أن السمع أكثر كمالاً وإرهافاً، كما يُصاحب السمعُ الإنسان حتى في نومه فينام بصره ولا ينام سمعه. وتشريحياً جهاز السمع أعظم دقة من العين. والطفل لا يرى ولكنه يسمع من لحظة الميلاد. وإشارة إلى أن السمع لا يتعطل في النوم أو غيره كانت الآية « فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً» ١١/ الكهف. دلالة على تعطيل كافة الحواس. فتأمل هنا كذلك الاعجاز العلمي إلى الجانب البلاغي.

«يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون -» ٨٨/ الشعراء.
«لن تُغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً..» ١١٦/ آل عمران.
«أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين..» ٥٥/المؤمنون.

وكثير غيرها نرى تقديم المال على الأبناء. والدقة هنا كما أثبتت الدراسات الاجتماعية والواقع المجرب أن المال عند أكثر الناس أعز من الولد كما يفقد المرء

أولاده ولكنه يحرص على ماله الذي يصحبه حتى الممات. وفوق هذا وذاك، يستغني الانسان عن ولده في أمور معيشته ولكنه لا يستطيع أن يستغني عن المال فبدونه لا تتحقق له معيشة وحياة.

«وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما» ٩/ الحجرات.

نجد أن «الطائفتان» عوملت باعتبارهما مثنى كما في أصلحوا (بينهما). ثم عوملت كجمع في (اقتتلوا). فالتعبير القرآني جعل الطائفتين في القتال تلتحمان وتصبحان (جمعاً) مختلطاً متضارباً بينما ساعة الصلح ينفصل هذا (الجمع) إلى طائفتين اثنتين لترسل كل منهما مندوباً عنها يتفاوض باسمها.

«يسألونك ماذا ينفقون: قل العفو» ٢١٩/ البقرة.
«يسألونك عن الروح: قل الروح من أمر ربي» ٨٥/ الاسراء.
«يسألونك عن الأهلة: قل هي مواقيت للناس والحج» ١٨٩/ البقرة.

فهنا نجد السؤال للرسول صلى الله عليه وسلم والله عز وجل يوجهه بكلمة: قل. والمعروف أن هذه الأسئلة قد سئلت بالفعل. ولكن في الآية:

«يسألونك عن الجبال. فقل ينسفها ربي نسفاً» ١٠٥/ طه. وهنا نجد أن هذا السؤال لم يكن قد سئُل بعد، فهو من أسرار يوم القيامة، وكأنما يقول الله: فاذا سألوك عن الجبال (فقل)، فجاءت الفاء في كلمة قل فكانت هنا فقل: فكأنما الفاء تُنبيء عن «إذا» مضمرة في بداية الكلام. وأما عندما يكون السؤال عن ذات الله لا نجد كلمة قل إطلاقاً فالله أولى عز وجل بالإجابة عن نفسه كما في الآية «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب..» ١٨٦/ البقرة.

«إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» ٩/ الحجر.

«نحن خلقناكم فلولا تصدقون» ٦٧/ الواقعة.
«إنا أنزلناه في ليلة القدر» ١/ القدر
«نحن خلقناهم وشددنا أسرهم ..» ٢٨/ الانسان

(ونحن إنا)هنا تعبيرعن جميع الصفات الالهية وهي تعمل في إبداع عظيم كعملية الخلق فاذا ما جاءت الآية في مقام مخاطبة بين الله وعبده كما في موقف المكالمة مع موسى تأتي الآية بضمير المفرد. (أنا) إشارة إلى أن الحضرة هنا حضرة ذات وينبه

الله سبحانه على مسألة التوحيد فقال: «**إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ..**» ١٤/ طه

«**واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الامور**» ١٧/ لقمان
«**ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور**». ٤٣/ الشورى..

فالصبر بالاولى (من عزم الامور) وفي الثانية (لمن عزم الامور). وسرّ التوكيد باللام في الثانية أنه صبر مضاعف، لأنه صبر على عدوان بشري له فيه غريم وهو مطالب فيه بالصبر والمغفرة معاً وهو أمر على النفس من الصبر على القضاء الإلهي الذي لا حيلة فيه.

«أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون. لو نشاء جعلناه أجاجاً» ٦٩/ الواقعة. «أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون. لو نشاء لجعلناه حطاماً» ٦٥/ الواقعة.

ففي الأولى جعلناه أجاجاً مالحاًبدون لام التأكيد لأن أحداً لن يستطيع الادعاء بإمكانيته إنزال المطر المالح الاجاج من السحب فلا حاجة للتوكيد. بينما في الثانية كان التوكيد لضرورة فهناك من قد يدعي أنه يستطيع إتلاف الزرع.

«الذي يميتني ثم يحيين» ٨١/ الشعراء
«والذي هو يطعمني ويسقين؟ ٧٩/ الشعراء.

فجاء بكلمة (هو) ليؤكد الفعل الالهي وصرف دعوة المدعين أنهم سبب الاطعام. بينما في الاولى لن يدعي أحد خلق الانسان وإماتته وإحياءه فلم تكن ضرورة للتوكيد.(١)

هذه شواهد على أمرين. الأمر الأول الترابط بين الكلمات القرآنية وما فيه من اتصالٍ وائتلاف وانسجام. والأمرالثاني الدقة العظيمة في البناء المحكم المترابط للفظ القرآني وللحرف القرآني.

«الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان» ١٧ الشور.

---

(١) مصطفى محمود. المرجع السابق نفسه. ص ٧٠.

ب ـ الترابط داخل السورة الواحدة: ـ

السورة القرآنية تُشكل وحدة مترابطة متناسقة متينة التركيب، وبالوقت نفسه نجد بين سور القرآن جميعاً رابطاً عاماً وصلة تصلها فإذا بالقرآن يتراءى وحدة واحدة عظيمة البنيان والانسجام.

ونظرة سريعة إلى سورة (الإسراء) وهي ١١١ آية نجد فيها ترابطاً وانسجاماً يؤكّد ما ذهبنا إليه. ومثل هذه النظرة يمكن لأي قارئٍ لكتاب الله أن يحاولها فيجد ما ذكرناه حقيقةً باهرة ناصعة في جميع سور القرآن.

فالسورة تتحدث عن الإسراء والمسجد الأقصى وبمقابل ذلك تختم السورة بذكر السجود، ثم تتحدث عن بني إسرائيل وعلوهم وإفسادهم وعذاب الله لهم على ذلك وعلى يد آخرين مع توعده لهم: وإن عدتم عدنا. وبالمقابل في نهاية السورة يذكر موسى كما ذكره أول السورة إشارة (للخروج) ويذكر بني إسرائيل والوعد المستقبلي بجمعهم خليطاً لتنفيذ ما توعدهم به لإفسادهم وعلوهم. وفي وسط السورة يربط البداية مع النهاية بالوصايا التي ذكرت في التوراة فلم يعملوابها،فيذكر الله للمسلمين هذه الوصايا العشر يبدؤها وينهيها بنفي الشرك«بقوله لا تجعل مع الله إلهاً آخر.».
ولنعد الآن للنظر بروية فيما ذكرناه:

تبدأ سورة الاسراء بالحديث عن واقعةالاسراء وموقعها لتذكرالمسجد مرتين (آية /١)، وتُختم السورة نفسها بذكر السجود مرتين كذلك (آيات / ١٠٧، ١٠٩). ثم تتحدث السورة عن بني إسرائيل وتبدأ بذكر موسى إشارة للخروج وتذكر لهم أنهم قد أفسدوا بعد إذْ علوا علواً كبيراًفي الأرض مرتين فعُذبوا على ذلك بأيدي أقوامٍ آخرين ويتوعدهم عز وجل على أثرها مباشرة بقوله «وإن عدتم عدنا» آية/٨. ليؤكد في آية / ١٠٨ «إنْ كان وعدُربّنا لمفعولاً» بعد أن يذكرهم بالوعيد المستقبلي من أنه إذا جاء وعد الآخرة سيجمعهم لفيفاً (آية /١٠٤) وخليطاً من مختلف الأمم والشعوب (والدول) ليهلكهم على علوهم وإفسادهم في الأرض، ليذكر قبلها مباشرة موسى إشارة هنا للخروج المستقبلي كذلك. وكما ذكر في أوائل السورة إهلاكه تعالى للقرى والقرون السابقة للأسباب نفسها التي أخذت بها بني إسرائيل وهي الافساد وتولي غير الله (آيات /١٦، ١٧) يعود أواخر السورة ليذكر كذلك وُيّذكر القرى وعذابها (آية /٥٨). ومما أشار إليه أن بني إسرائيل أفسدوا لما تركوا

التوراة فيذكر الله المسلمين بذلك وليأخذوا بها وهنا نجد القرآن يبدأ هذه الوصايا - التي تركهااليهود وأهملوا التوراة معها - بجملة: «لا تجعل مع الله إلهاً آخر...» ٢٢/ السورة، ويختم هذه الوصايا بالجملة نفسها: « ... ولا تجعل مع الله إلهاً آخر... » ٣٩/ السورة. وتأتي الوصايا في (قلب) السورة فتربط أولها بآخرها وكأنما هي واسطة عقد السورة فبتركها عذبت بني اسرائيل وبتركها ستُعذّب كما بتركها

يعذب من كلفوا بالعمل بها ثم تناسوها. وبعد حديث بني إسرائيل يذكر الله تعالى كتابه: القرآن الكريم في (الآية / ٩) وأنه يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين ليأتي قبل أواخر السورة مباشرة ليقول عنه مجدداً وما به من هدى وبشاراتَ « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » ١٠٥ / السورة. « وقرآناً فرقناه لتقرأه... » ١٠٦/ السورة. فهو مرتبط بتحقيق الوعود كذلك. ثم نجد(آية /١٤) تتحدث عن أن كل إنسان له كتاب سيطالب بقراءته في الآخرة ويعود قبل أواخر السورة (آية / ٧١) ليذكر دعوة الناس للقيامة ويؤكد أن المؤمن فقط هو الذي سوف يقرأ كتابه بالآخرة. وكأنما هي إشارة من طرف خفي إلى أن الذي تتحقق فيه صفة الايمان هو الذي يقرأ الكتاب ويعيه وعياً تاماً. وكما استفتح السورة بذكرالنعمة (الاسراء) و (مباركته لأرض الأقصى) وأن كل هذا يستوجب الشكر والحمد مع لفت الانتباه للشكر كما في (الآية / ٣) عن نوح: « ... إنه كان عبداً شكوراً » ٣/ السورة، تختم السورة بالحمد: « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً » ١١١/ السورة. فاذا ما نظرنا إلى السورة التي تلي الاسراء مباشرة وهي (الكهف) سنجدها تبدأ:« الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب... » ١/ الكهف. ثم مباشرة: « وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً. » ٤/ الكهف. فالسورة تتصل بما فيها من وحدة وترابط بانسجام وائتلاف مع السورة التالية فاذا بالقرآن وحدة محبوكة منسجمة متصلة، لا تفاوت فيها ولا اختلاف ولا انفصام.

وثمة ملاحظة أخرى، فكما نجد كلمات بعينها تتردد في السورة الواحدة أكثر من غيرها وكأنما هي مفاتيح للسورة وعليها تدور - كما في (الكهف) نجد كلمات مميزة وكأنما هي مفاتيح السورة من مثل: الرحمة،ربك، الحق. وكما في (يونس) نجد كلمة النجاة ومعانيها أو اشتقاقاتها تتردد كلها بتوازن من أول السورة لآخرها - كذلك الأمر في سورة (الاسراء) نجد كلمات مثل: المسجد والسجود، الدعاء، العودة والاعادة، وتلفت النظر كلمة (الآخرة) فهي تتردد سبع مرات على امتداد السورة -

بينما هي في البقرة التي تزيد بنحو ١٧٥ آية عن الاسراء لا تتردد الكلمة فوق عشرة مواضع، وفي آل عمران وهي ٢٠٠ آية لا تتردد فوق ثمانية مواضع - فكأن كلمة (الآخرة) هي مفتاح السورة وعليها وأخواتها يدور المعنى العام للسورة. فهي: (الآخرة) تشير للمتبصر في السورة أن وعد الآخرة حق في حياتنا في الدنيا وبعد المات ولكل من جاءت السورة على ذكرهم: الانسان ككل، قريش، ثم بني إسرائيل، والله عز وجل في وعد بني إسرائيل وتوعده يشير إلى أن تحقيقه سيتم على النحو الأول من حيث إفسادهم في الأرض ثم تسليط عباد له عليهم ليسوءوا وجوههم ويتبروا ما علوا تتبيراً فقد توعدهم: «وإن عدتم عدنا» ٨/ الاسراء، ثم في آخر السورة يقول عندما يأتي وعد الآخرة بعد أن يفسدوا مرة ثالثة إفساداً عظيماً سيجمعهم لفيفاً من أخلاط الشعوب ليردوا إلى العذاب الشديد في الدنيا والآخرة فيقول: «إن كان وعد ربنا لمفعولاً» ١٠٨/ الاسراء.

وهكذا بتدقيق النظر في السورة ككل من مختلف جوانبها لن نكف عن الدهشة والعجب من هذه الدقة والانسجام والتنسيق والتناسق والوحدة التي تربط الآيات ببعضها، والسورة بغيرها بنسيج محبوك على أمتن نحو وأجمل أسلوب.

★★

هذا مثال. ولنأخذ آخر:

افتح المصحف الآن على سورة (ق) وتأمل[١] : -

«ق والقرآن المجيد. بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب، أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد.. قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ.» فالسورة تبدأ بمقدمة هي الآية الأولى ثم يأتي حرف (بل) ثم حديث عن الكافرين وتعجبهم من بعثه منذراً ينذرهم بالبعث بعد الموت، واستبعادهم لهذه المسألة. فيرد عليهم بأن الله يعلم ما أخذته الأرض منهم وإن أصبحوا تراباً فلا استبعاد إذن لخلقهم مرة ثانية. فبإيجاز مقنع يذكر إشكال الكافرين والرد عليهم فينتهي هذا المقطع من السورة ليبدأ مقطع جديد مبدوءاً كذلك بالحرف (بل) وفيه حديث عن تصوراتهم والرد عليهم «بل كذبوا بالحق لما جاءهم...» ٥/ق. ويرد عليهم مبتدئاً: «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها... كذلك الخروج» ٦-١١/ق. وهنا ينتهي الجزء الأول من الرد بلفت

(١) سعيد حوى. الرسول: المرجع السابق نفسه. ص ١٥ من الجزء ٢. وارجع الى بقية الأمثلة في الكتاب نفسه فتجد عجباً.

تظرهم للكون وبالرد المفحم بعد ذلك بكلمتي: كذلك الخروج. ويستمر في الرد عليهم فيقول كما كذبوا فقد كذب غيرهم «كذبت قبلهم قوم نوح... كل كذب الرسل فحق وعيد، أفعيينا بالخلق الأول» ١٢-١٥/ق. فيجعلنا عز وجل نتعجب ونستنكر تكذيبهم بكلمة: أفعيينا بالخلق الاول؟ فالذي خلق في الاولى لا يعجز عن الثانية. وهنا ينتهي المقطع الثاني ليبدأ المقطع الثالث مبدوءاً بالكلمة (بل) كذلك والحديث عن المضمون نفسه: «بل هم في لبس من خلق جديد» ١٥/ ق. فيأتي الرد على شكهم في الخلق مرة ثانية على مرحلتين مبدوءاً بكلمة (ولقد) كما كان الجواب في المقطع الأول مبدوءاً بكلمة (قد) في قوله تعالى: «قد علمنا ما تنقص الأرض منهم» ٤/ ق. فيقول: «ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه... إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.» الآيات ١٦-٣٧/ق. وبهذا تنتهي المرحلة الأولى من الرد على شكوكهم يذكرهم الله فيها بخلق الانسان وعلم الله المحيط بكل شيء وتنتهي المرحلة بأن الانسان المتدبر يكفيه هذا البيان ليتذكر.

وتبدأ المرحلة الثانية في الرد عليهم لتستمر حتى نهاية السورة، وتبدأ أيضا بكلمة (ولقد) كالمرحلة السابقة: «ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب... نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد» الآيات ٣٨-٤٥/ق. وبهذه المرحلة يذكر خلق الله للسموات والأرض بلا تعب وبهذا رد مقنع على الشك فهذا الإله لا يعجز عن إعادة خلق الانسان. كما تختم السورة في إرشاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصبر على أقوالهم واعتراضاتهم وأن مهمته تذكيرهم. ونلاحظ كذلك أن السورة تبدأ بذكر القرآن وكأنما الحرف ق إشارة إليه - وهنا وجه من الاعجاز العددي سنأتي على ذكره في بابه - ثم تختم السورة بالاشارة نفسها «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد» ٤٥/ق. بل وكما وجدنا الرابط بين نهاية سورة الاسراء وبداية الكهف كذلك الأمر هنا بين سورة ق والتي تليها: سورة (الذاريات) التي تبدأ كذلك بالوعد والوعيد، فهي تبدأ بالقسم إن ما يوعدون لصادق ثم القسم بأنهم في قول مختلف فاذ يقول الله: «قتل الخراصون. الذين هم في غمرة ساهون، يسألون: أيان يوم الدين. يوم هم على النار يفتنون» ١٠-١٣/ الذاريات. يأتيهم الجواب ومن سورة ق نفسها: «يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً..» ٤٤/ق.

فالسورة نفسها (ق) كما في الاسراء: نرى التناسق والترتيب والوحدة والترابط العظيم المحكم بين الآيات في السورة الواحدة وبينها والسور الأخر. فهذان شاهدان

على أن السورة الواحدة تشكل وحدة مترابطة متناسقة متينة التركيب وأن القرآن الكريم وحدة واحدة عظيمة البنيان والانسجام. وهذا وجه من وجوه إعجازه.

«الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان» ١٧/ الشورى.

«الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» ١/ هود.

ج - وحدة القرآن (الترابط بين سور القرآن الكريم ككل): -

كما رأينا في الفقرات السابقة، وكما سنرى تحت هذا البند، فإن الترابط والتوازن قائم على نحو عظيم بين آيات القرآن داخل السورة الواحدة، كما هو قائم بين السور. فاذا ما ذهبنا في هذا الاتجاه سنجد أن من صور هذه الوحدة القرآنية الفذة والانسجام البنائي المتين أن كل مجموعة سور من القرآن الكريم تشكل كلاً متكاملاً وهذه المجموعات كلها إنما تفصل المعاني التي ذكرتها سورة البقرة على الترتيب مع تبيان وتوضيح وتفصيل. وإن كل مجموعة منها عرضت الأسس النظرية والعملية للاسلام وساقت هذه الحقائق الأولية بطريقة عرض ونغمة جرس تختلف عن الأخرى. وفي سورة البقرة نجد المعاني التي ستتعرض لها كل مجموعة سور إنما هي مرتبة ترتيباً معيناً لا لبس فيه لمتفحص. ولتبيان هذا سننظر في سورة البقرة أولاً ثم في السور التي تليها، وسنجد ما يلي في سورة البقرة (١):-

١ - تبدأ سورة البقرة بالأحرف (ألم) ويأتي بعدها عشرون آية تتحدث عن أقسام الناس في المصطلح القرآني: متقين، كافرين، ومنافقين. وتصف كلاً من هؤلاء.

٢ - تأتي بعد ذلك خمس آيات مبدوءة بكلمة (يا أيها الناس) وفيها دعوة إلى الناس جميعا أن يكونوا من الفئة الأولى (المتقين) وأن طريق التقوى هو عبادة الله، وتصف الآيات مظاهر قدرة الله وكون القرآن من عند الله لا شك فيه ومصير من لا يسلك هذا السبيل ومن يسلكونه.

٣ - بعدها تأتي ثلاث آيات تتحدث عن الله عز وجل والقرآن، وموقف المهتدين منه، وضلال الضالين عنه وصفاتهم «الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون» ٢٧/ البقرة. كما تناقش من يكفر بالله عز وجل.

٤ - تأتي بعد ذلك آية مبدوءة بكلمة (هو) تتحدث عن الله وأنه خلق كل شيء في الأرض للبشر.

٥ - تأتي بعد ذلك عشر آيات تتحدث عن قصة آدم عليه السلام ونزوله إلى الأرض وتختم بالقاعدة التي تحاسب عليها البشرية: «..فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النارهم فيها خالدون» ٣٨، ٣٩/ البقرة. وبعد ذلك يقص الله من قصص بني إسرائيل وموقفهم من الهدي

(١) سعيد حوى. الرسول: المرجع السابق نفسه.

المنزل عليهم ثم من قصة إبراهيم عليه السلام وعبوديته لله ودعواته ووصاياه ثم قواعد حول قبلة المسلم ثم أوامر لها علاقة بالعبادة والتقوى ثم فريضة الله على المسلمين في أمر القتال: الآية ٢١٦: -

٦ - «كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون» ٢١٦/ البقرة. وتليها آية مبدوءة بكلمة «يسألونك» ٢١٧/البقرة. وفيها استفسار من الصحابة عن قضية لها علاقة بالقتال، ثم تفصيلات في أمور كثيرة حتى ختام السورة.

وعدا عما يجده البصير في السورة من وحدة شاملةمتينة، فانه سيجد الصلة الواضحة بين هذه السورة - كما فصلنا في معاني مجموعات آياتها في النقاط الست أعلاه - وبين السور الست التي تليها: آل عمران، النساء. المائدة، الأنعام، الأعراف، وسورتي الأنفال والتوبة. فهذه السور تشرح وتفصل المقاطع التي ذكرناها وبالتسلسل نفسه المعروضة فيه بسورة البقرة، فجاءت كل سورة منها لتفصل بالشرح مقطعاً منها كما سنرى: -

١ - سورة البقرة بدأت بالأحرف (ألم) وسورة آل عمران تبدأ بها كذلك. وتبدأ البقرة بآية «ذلك الكتاب لا ريب فيه..» ٢/ البقرة. لنجد أن سورة آل عمران مبدوءة بهاتين الآيتين: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم. نزل عليك الكتاب بالحق..» ٢، ٣/ آل عمران. وكما أن العشرين آية الأولى في البقرة تتحدث عن المتقين والكافرين والمنافقين فإن سورة آل عمران كلها توضح ملامح هذه الفئات الثلاث والحدود التي ينبغي أن تقف عليها الجماعة الاسلامية في علاقتها مع الفئتين الأخريين.

٢ - تأتي بعدها في سورة البقرة الآية المبدوءة بكلمة «يا أيها الناس» ٢١/البقرة. والتي تبين للانسان طريق التقوى «..اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون» ٢١/البقرة. وتأتي سورة النساء مبدوءة بالآية: «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة..» ١/النساء. لنجد النداء نفسه والمعاني نفسها وتدرس النساء وكأنك تدرس التقوى سلوكاً وطريقاً.

٣ - في سورة البقرة تأتي آيات الضالين وتتحدث عن نقض العهد. وكذلك تأتي سورة المائدة لتبدأ بالوفاء بالعقود: «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود..» ١/ المائدة. وغير مرة تُذكر بالعهود: «واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا» ٧/ المائدة. وكأن السورة تذكر المعاني الأساسية للعهود التي من

تمسك بها اهتدى بهدي القرآن وإلا ضل.

٤ - تأتي في البقرة بعد ذلك آية: « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً.. » ٢٩/ البقرة. كذلك تأتي سورة الأنعام لتتردد فيها مرات كثيرة كلمة (هو) وآخر آية في السورة تكاد تكون معنى حرفياً لآية البقرة: « وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم. » ١٦٥/ الأنعام. فسورة الأنعام كلها تفصيل لمجمل الآية في البقرة.

٥- تذكر سورة البقرة بعدها قصة آدم لتنتهي بقاعدة: « فمن تبع هداي.. » ٣٨/ البقرة. وتأتي سورة الأعراف والآية الثالثة فيها: « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم.. » ٣/ الأعراف وذلك بعد الآيات الأولى: « المص. كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين » ١، ٢/ الأعراف. وتأتي بعد ذلك قصة آدم وقصص عن أمم أخرى وكيف كان موقفهم من الهدى المنزل عليهم فكأن السورة كلها عرض عملي وتاريخي ومناقشة في جو القاعدة التي انتهت بها قصة آدم في سورة البقرة: « فمن تبع هداي.. » ٣٨/ البقرة.

٦ - في البقرة تأتي بعد ذلك آية القتال وبعدها تأتي كلمة (يسألونك) وفيها استفتاء عما له علاقةبالقتال. وكذلك نجد سورة الأنفال. تبدأ بكلمة « يسألونك عن الأنفال.. » ١/ الأنفال، والسورة كلها والتي تليها تتحدثان عن القتال وأدب الحرب، ويلاحظ أن السورتين في القرآن بلا فاصل (البسملة) وكأنهما شرح وتوضيح للفريضة التي ذكرها الله في سورة البقرة / ٢١٦.

وهكذا بلا أي لبس نرى بوضوح الرابطة التي تربط هذه السور مع مجموعات الآيات من سورة البقرة، كما نرى الترابط بين السور مجتمعة.

ولنحاول أن ننظر فيما هو أبعد من ذلك:

١ - سورة يونس - وهي بعد التوبة - تفصل مرة أخرى الآية الأولى من البقرة « الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » ١، ٢/ البقرة. وتبدأ يونس بالآية، « الر تلك آيات الكتاب الحكيم. أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين. » ١، ٢/ يونس. فالسورة تبدأ بتحطيم الشبهة الموجودة في أذهان الناس حول القرآن ويستمر هذا المعنى لينتهي عند الآية ٣٧: « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا

ريب فيه من رب العالمين.» ٣٧/ يونس. ثم الآية التالية تبدأ بحرف (أمْ) وكأنه استمرار للمقطع المبدوء بحرف الاستفهام: الهمزة (أكان).. «أمْ يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين» ٣٨/ يونس. فالسورة ما زالت تدحض شبهة المرتابين والمكذبين. ويستمر هذا المقطع حتى آية ٥٧، والمبدوءة بقوله تعالى: «يا أيها الناس..» وكأن السورة حتى هذه الآية تفصل الجزء الأول من الآية الاولى من البقرة «.. ذلك الكتاب لا ريب فيه..» فتأتي السورة منذ الآية ٥٧ في تفصيل الجزء الثاني من آية البقرة «.. هدى للمتقين». فتقول الآية ٥٧ في يونس: «يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين» ٥٧/ يونس. وتنتهي السورة بآيات فيها الدعوة لعبادة الله وتختم بالآيات: «قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل. واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.» ١٠٨، ١٠٩/ يونس.

٢ ـ سورة النساء شرحت الآية ٢١ من البقرة حول التقوى وبعد يونس ـ مرة اخرى ـ تأتي سورة هود لتفصل الأمر (اعبدوا) من آية البقرة نفسها: ففي هود سنجد: «الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير. ألا تعبدوا إلا الله..» ١، ٢/ هود. ونتابع الآيات لنصل آية ٢٥: «ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين. أن لا تعبدوا إلا الله..» ٢٥، ٢٦/ هود. ونتابع للآية: «وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله..» ٥٠/ هود. ثم الآية: «والى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله..» ٨٤/ هود. لتختم السورة بالآية: «ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون» ١٢٣/ هود.

٣ ـ بعد سورة هود تأتي سورة يوسف لتفصل الآية ٢٣ من البقرة وهي التي تلي الآية التي فصلتها سورة هود من قبل، وهي: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله..» ٢٣ / البقرة. وتبدأ سورة يوسف: «الر تلك آيات الكتاب المبين. إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون. نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين.» ١، ٢، ٣/ يوسف. وتختم السورة بالآية: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» ١١١/ يوسف.

٤ - وبعد سورة يوسف تأتي سورة الرعد لتفصل الآيات ٢٦ ، ٢٧ من البقرة: « إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين. الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون » ٢٦، ٢٧/ البقرة فالآية الثانية من سورة الرعد: « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها... » ٢/ الرعد ثم الثامنة « الله يعلم ما تحمل كل أنثى.. » ٨/ الرعد. ثم « الله يبسط الرزق لمن يشاء.. » ٢٦/ الرعد فكل مقطع في السورة يبدأ باسم الجلالة (الله) فهي كلها تفصل آية البقرة السالفة الذكر ٢٦. فسورة الرعد تعرفنا على الله عز وجل أكثر. وآيات سورة الرعد من ١٩ وحتى ٢٦ إنما هي تأكيد لمعاني آية البقرة ٢٦ ، ٢٧.

****

نعود لنؤكد - بعد عرض وتفحص الأمثلة السابقة - وحدة السورة الداخلية ثم ترابط السور ووحدة القرآن الكريم وهذه الحبكة المتينة الجميلة التي تنتظم القرآن بدءاً من الفاتحة وانتهاء بالناس لا تفاوت فيها ولا اضطراب. فإذا أدركنا هذه الوحدة والترابط الذي ينتظم القرآن كله وأدركنا من قبل الترابط داخل السورة الواحدة ثم توازن الكلمات والألفاظ القرآنية حيث كل لفظ بميزان دقيق ثم دققنا في انتظام الآيات وفواصلها المختومة بها بالاضافة لما سنطلع عليه - إن شاء الله - من اعجاز عددي يظهر لنا التوازن في مواضيع القرآن وحروفه وتوازناً عددياً لمفرداته وألفاظه، كل ذلك مجتمعاً سيعطيك صورة مذهلة عن مدى حبكة القرآن المتينة القوية الجميلة الرائعة فلا تملك عندها أكثر من أن تعجب ولا ينقضي عجبك من هذا القرآن العظيم.

« الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان.. » ١٧/ الشورى.

الباب الثاني

الاعجاز العددي

١ . تمهيد .

٢ . العدد في القرآن الكريم

(النظام العشري بدلاً من النظام الستيني فيالحساب) .

٣ . ظاهرة الاعجاز العددي

(دلالة جديدة في إعجاز القرآن الكريم) .

٤ . التوازن الحَرْفي .

٥ . التوازن الموضوعي .

١ . تمهيد : -

إن ما يشتمل عليه هذا الباب من العدد في القرآن الكريم والأخذ أو التوجيه للنظام العشري إلى ظاهرة الاعجاز العددي كدلالة جديدة في إعجاز القرآن والمرتكزة على الرقم (تسعة عشر) ١٩، وما يتفرع عن ذلك من الوقوف على توازن حرفي وتوازن موضوعي (يتعلق بالموضوعات) كل ذلك يشكل جوانب تؤكد مجتمعة على شيء واحد نسعى لتبيانه ذلك أن القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ما كان ليتأتى له تأليف القرآن على امتداد ثلاثة وعشرين عاماً بمواضيعه المختلفة وجوانبه المتباينة ثم يخرج به معجزاً حتى في تراكيبه العددية وتقابل موضوعاته وتوازنها العددي وفي توازنه الحرفي والعددي لأن ذلك كله شيء هو فوق طاقات البشر أجمعين فكيف برجل أمي ظهر قبل ألف وأربعمائة عام بين بدو الصحراء لم يتعلم شيئاً من الحساب المتقدم كالنسبة المئوية أو المكررات الحسابية، كيف وهو لم يتعلم حتى الحساب المتأخر أو القراءة والكتابة ليأتي بكل هذا التوازن - ما ظهر منه وما خفي - بقرآن هو فوق ذلك كله آية في البلاغة وفي التشريع وفي تطرقه المعجز للمواضيع العلمية وحقائق العلم الحديث ثم يأتي بكل هذا وليس فيه تفاوت أو اضطراب أو اختلاف في حرف واحد. وفي أي أمر نظرت في القرآن وأردت درسه وفحصه ستجد غاية الإحكام والاتزان في ثوب من البلاغة يأخذ بالألباب.

قد تتداخل موضوعات هذا الباب وتتكرر مما تستلزمه محاولة النظر للموضوع نفسه ضمن خلفية جديدة لداعي الايضاح. ولكن سنخرج بنتيجة واحدة إن شاء الله تلك هي ظاهرة الاعجاز العددي في القرآن الكريم. وسيكون جل ما يقدم هنا من محاضرة الدكتور محمد رشاد خليفة كما سنشير في حينه.

٢ ـ العدد من القرآن الكريم

(النظام العشري بدلاً من النظام الستيني في الحساب)

لقد ذكر القرآن الكريم العشرة كوحدة للتضاعف في مواطن كثيرة مشيراً إلى كونها الوضع الطبيعي الذي يرقى بعلم الرياضيات إذا ما اتخذ الحساب العشري أساساً. كما ذكر الجزء من عشرة وهو أساس الكسر العشري. فالناظر في الآيات المتضمنة ذكر الأعداد يجد أن القرآن يأخذ منذ البداية بأساليب الحساب السليم وتعبيراته القوية وتجنب الطرق المعقدة العقيمة والتي كانت شائعة آنذاك كالحساب الستيني. وكأن القرآن يلفت النظر في ترديده المستمر والمركز على ذلك إلى توجيه ولفت النظر إلى تحديث النظام الحسابي السائد ـ الستيني ـ باستخدام النظام العشري، وهو يعطي العدد عشرة ومضاعفاته الوزن الأكبر. وربما كان ذلك هو الذي دفع بالعرب لدراسته وبناء نظامهم الرياضي على هديه فيما بعد. فلما كان الهنود قد استخدموا النظام العشري في الحساب والترقيم والقائم على أساس الخانات صدر المسلمون عن القرآن الكريم مندفعين ليكوّنوا سلسلتين من الأرقام الهندية ما زالت إحداها باسم الارقام العربية (الغبارية أصلاً) تستخدم في معظم العالم الغربي والأخرى الهندية التي نستخدمها حتى اليوم. وفي الوقت الذي استخدم معه الهنود الفراغ للدلالة على الصفر استخدم العرب الصفر ـ وعلى هيئة دائرة صغيرة كما نقلتها أوروبا ـ فصارت هذه الأرقام تقتصر على عشرة أشكال ومنها يمكن تركيب أي عدد مهما كبر، في الوقت الذي ظلت فيه أشكال أرقام أخرى جامدة وعقيمة كالرومانية. وسنجد أنه باستخدام النظام العشري وإدخال الصفر قد قام بناء النظام الرياضي العظيم على أروع شكل مما سهل بالتالي حل كثير من المعادلات الجبرية وتقدمت الرياضيات حتى صارت دعامة النهضة الحديثة.[1]

ولننظر لآيات القرآن الكريم التي تستخدم العشرة ومضاعفاتها وكسورها:[2]

---

(١) محمد جمال الدين الفندي. القرآن والعلم. الطبعة الاولى. دار المعرفة. القاهرة ١٩٦٨. الصفحات ٦٥ ـ ٨٩.

(٢) أجمع مؤرخو العلوم على أن الخوارزمي هو الذي استنبط النظام العددي العشري الذي انضبطت فيه الاعداد بثقة ودقة وهو اختراع جليل يكاد يعادل في أهميته اختراع الابجدية. وقد بنى نظام أرقامه على الزوايا بحيث أن الواحد يحوي زاوية والاثنين زاويتين الى رقم ٩ وهنا أسس الخوارزمي نظامه العشري عندما قرر استنباط الصفر على شكل دائرة بلا زوايا وجعله في خانة الآحاد للرقم عشرة وفي خانة العشرات واحداً. وهذا الاكتشاف للخوارزمي اي الارقام المبنية على أشكال الزوايا والصفر من جهة والنظام العشري من جهة ثانية شاعا في جميع ارجاء الدولة الاسلامية بحلول القرن الثالث الهجري، ثم

«من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ١٦٠/ الأنعام
« ... في كل سنبلة مائة حبة » ٢٦١/ البقرة.
« ... إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » ٦٥/ الأنفال.
« ... وما بلغوا معشار ما آتيناهم.. » ٤٥/ سبأ.

فكما ذكرنا فان آيات القرآن شجعت علماء المسلمين بطريق مباشر أو غير مباشر للأخذ بالنظام العشري المتقدم. وهيهات أن يصل رجل من أساطين العلم في تلك الآونة إلى مثل ذلك المستوى الرفيع أو يسبق ركب العلم بمثل تلك الخطوات إلا أن يكون وحياً من لدن الخالق العليم.

ولا يفوتنا أن نقرر أن الأوروبيين لم يتمكنوا - بعد أن نقلت اليهم سلسلة الأرقام العربية والنظام العشري - من استخدامها جميعا إلا بعد مضي العديد من القرون.[٢]

شاعت في الغرب بعد القرن الثالث عشر الميلادي وشاعت مضاعفات هذه الفكرة مثل اللوغرتمات وهي تسمية مشتقة من اسم الخوارزمي وتهجئة اللاتينية حيث عرف النظام العشري في الغرب باسم الغوريزم (Algorism).
(عن مقال الدكتور فواز طوقان: الأرقام العربية وغيرها من الارقام. المنشور في جريدة الدستور العدد ٤٨٣٨ تاريخ ١٩٨١/١/٣٠.

(٢) محمد جمال الدين الفندي. المرجع السابق نفسه.

٣ ـ ظاهرة الاعجاز العددي

(دلالة جديدة من اعجاز القرآن الكريم).

تبدأ هذه الظاهرة الاعجازية العددية المادية في الآية الكريمة الأولى في القرآن الكريم: « بسم الله الرحمن الرحيم » ١/ الفاتحه. وهذه الآية تتشكل من ١٩ حرفاً. والرقم ١٩ يتميز بأنه يحتوي على بداية النظام الحسابي وهو الرقم ١ ونهاية النظام الحسابي وهو الرقم ٩. وأن الرقم ١٩ لا يقبل القسمة على غيره.

وقد تبين من تحليل حروف وكلمات القرآن الكريم الكترونياً بعد إدخالها العقل الألكتروني (الكمبيوتر) أن كل كلمة في هذه الآية « بسم الله الرحمن الرحيم » تتكرر في القرآن الكريم كله عدداً من المرات هو دائماً من مكررات الرقم (تسعة عشر) ١٩. فكلمة إسم تتكرر في القرآن ١٩ مرة بالضبط. ولفظ الجلالة الله يتكرر ٢٦٩٨ مرة وهو يساوي ١٩×١٤٢. وكلمة الرحمن تتكرر ٥٧ مرة وهو يساوي ١٩×٣. وكلمة الرحيم تتكرر ١١٤ مرة وهو يساوي ١٩×٦. كما أن سور القرآن الكريم نفسها عددها ١١٤ سورة وهذا العدد يساوي ١٩×٦.

ولا شك أن هذا الاعجاز العددي المادي ـ الذي سنتابع دقائقه وتفاصيله ـ لا يمكن أن يكون عن طريق الصدفة العمياء لأن الصدفة تحدث لمرة واحدة ولكنها لا تحدث مرتين ثم ثلاث مرات بل أربع وأكثر كما نجد في القرآن الكريم. فلو أخذنا كتاباً عادياً وعددنا حروف جملته الأولى لوجدنا احتمال تكرار الكلمة الواحدة الموجودة في الجملة الأولى في بقية الكتاب بعدد معين له علاقة بعدد حروف الجملة جائز بالصدفة، أما أن يكون الاحتمال حول كلمتين في الجملة الاولى تتكرران في الكتاب مرات بعدد معين له علاقة أيضاً بعدد حروف الجملة الاولى فهو احتمال ضعيف ويصبح مستحيلاً بالنسبة لثلاث كلمات. وكذلك يستحيل أن يقرر محمد صلى الله عليه وسلم تأليف كتاب تتكون الجملة الاولى فيه من ١٩ حرفاً وتتكرر كل كلمة فيها عدداً من المرات هو من أضعاف الرقم ١٩ ويمضي ليكتب كتابه بآيات متباعدة زماناً ومكاناً وموضوعاً على مدى ٢٣ سنة بهذا التصميم الدقيق، ذلك يستحيل عقلاً.[1] فهذان الاحتمالان مستحيلان. لا الصدفة ولا التأليف المقصود يمكن أن يقف وراء ما رأينا وسنراه من إعجاز عددي في أقصى مظاهر

---

(١) د. محمد رشاد خليفة. تسعة عشر دلالات جديدة في إعجاز القرآن. دار الفكر. دمشق محاضرة القاها الدكتور محمد رشاد خليفة في الكويت.

الدقة والاحكام. ثم إذا كان محمد صلى الله عليه وسلم هو مؤلف القرآن فلماذا لم يفاخر بين صحابته وأبناء عشيرته بهذا العمل الجليل بل نسب ذلك لله عز وجل. مما يؤكد لنا حقاً أن الله تعالى هو منزل القرآن الكريم.

فإذا رجعنا للرقم ١٩ نجده مذكوراً في سورة المدثر. ونجده مذكوراً بالنسبة لأولئك الذين يدعون أن القرآن الكريم هو من قول البشر. فيقول تعالى: «ذرني ومن خلقت وحيداً. وجعلت له مالاً ممدوداً. وبنين شهوداً. ومهدت له تمهيداً. ثم يطمع أن أزيد. كلا إنه كان لآياتنا عنيداً. سأرهقه صعوداً. إنه فكر وقدر. فقتل كيف قدر. ثم قتل كيف قدر. ثم نظر. ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر. فقال إن هذا إلا سحر يؤثر. إن هذا إلا قول البشر. سأصليه سقر. وما أدراك ما سقر. لا تبقى ولا تذر. لواحة للبشر. عليها تسعة عشر.» ١١-٣٠/ المدثر. فإذا فسر العلماء ١٩ بعدد زبانية جهنم فإننا بمتابعة الآيات التالية وفي ضوء المعلومات الجديدة التي سنراها. نجد في الآية «عليها تسعة عشر» ٣٠/ المدثر تفسيراً جديداً للتسعة عشر وهي عدد حروف الآية المفتتح فيها القرآن «بسم الله الرحمن الرحيم». وهذا التفسير الجديد سيقدم الدليل الدامغ على أن القرآن لا يمكن أن يكون من قول البشر. فلنتابع ما بعد الآية ٣٠ في سورة المدثر لنرى: «وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة..» «وما جعلنا عدتهم إلا:» أي ما جعلنا العدد تسعة عشر إلا للأسباب التالية: -

١ - «فتنة للذين كفروا..» أي إزعاجاً لهم.

٢ - «ليستيقن الذين أوتوا الكتاب..» أي لبعض من يؤمن بأن القرآن كتاب يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر دون التأكد من أنه من عند الله تعالى.

٣ - «ويزداد الذين آمنوا إيماناً..» آمنوا أنه من الله عز وجل.

٤ - «ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون» ليزيل كل ريبة وشك.

٥ - «وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً..» أي ليقول لهؤلاء المنافقين المتسائلين دائماً ما معنى هذا؟ بل ماذا أراد الله من هذا مثلاً.

٦ - «كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو..» فالرقم ١٩ ليس عدد زبانية جهنم لأن الله وحده يعلم عددهم. ويتابع القرآن الكريم: «وما هي إلا ذكرى للبشر.» ٣١/ المدثر. أي إن هذا الرقم هو تذكرة

للغافل وشرح للمرتاب.[1]

هذا ما يظهر في القرآن من تفسير للرقم ١٩، ومن الدلائل التي تؤيد هذا التفسير بأن الرقم ١٩ الذي ذكر في القرآن يقصد به الله سبحانه وتعالى عدد حروف البسملة ما يلي: -

١ - إن أول آية نزلت على قلب النبي صلى الله عليه وسلم هي «اقرأ باسم ربك الذي خلق» ١/ العلق. وهي من سورة العلق التي تتكون من ١٩ آية ويأتي ترتيبها إذا بدأنا من الخلف بتعداد القرآن عند الرقم ١٩. ثم نزل الوحي بالآية: «ن والقلم وما يسطرون.» ١/ القلم من سورة القلم. وبعدها تأتي الآيات الأولى من سورة المزمل. وفي المرة الرابعة، وهو الحدث الهام، نزل الوحي بالآيات المذكورة في سورة المدثر حتى قوله تعالى: «عليها تسعة عشر» والعجيب حقاً أن الوحي أنزل عقب هذه الآية مباشرة بالضبط سورة الفاتحة بكاملها وهي أول سورة كاملة ينزل بها جبريل عليه السلام بإجماع العلماء. وهنا نلاحظ أنه تبع آية: «عليها تسعة عشر» مباشرة آية: «بسم الله الرحمن الرحيم» المكونة من تسعة عشر حرفاً. وهذا ينفي كذلك عن القرآن أنه قول البشر.

٢ - في الآية الكريمة «قل هو الله أحد» ترد كلمة الله التي تتكرر في القرآن بعدد يبلغ ٢٦٩٨ مرة والذي يساوي ١٩×١٤٢ حتى إذا حدث أي تحريف او تغيير بكلمة بسم أو الله أو الرحمن أو الرحيم فإنه يختل النظام في القرآن. (فالله) في سورة الاخلاص مقصودة محسوبة وليست مجرد تكرار عفوي.

٣ - في الآية ٢٢٥ من سورة البقرة «لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم» ٢٢٥/ البقرة. وتليها الآية: «للذين يُؤْلُونَ من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤوا فإن الله غفور رحيم» ٢٢٦/ البقرة. ففي الآية الاولى ترد لفظة: حليم وفي الآية الثانية: رحيم. وهذا لا شك مقصود إذ أن كلمة رحيم معدودة في القرآن حتى إذا حدث أي تحريف فيها أو زيادة أو نقصان اختل النظام في القرآن الكريم فرحيم عددها ١١٤ فاذا نقص وصار ١١٣ لا يكون هذا الرقم من مكررات رقم ١٩. فالقرآن الكريم جاء متكاملاً منسقاً منظماً محسوباً بالأعداد غير منقوص. وهذا كله - حتى الآن - يؤكد بجزم أن القرآن ليس من قول البشر.

---

(١) المرجع السابق نفسه. ص ١٢.

حتى الآن نرى أن مفتاح الاعجاز العددي هو مفتاح القرآن الكريم وأول آياته «بسم الله الرحمن الرحيم» وسنجد أن سور القرآن الكريم عددها ١١٤ وهذا العدد يساوي ١٩×٦ فهو كذلك يقسم على مجموع حروف هذه الآية الكريمة. وسوف نجد أن الرقم ١٩ ذو دلالة عندما ننتقل لحروف القرآن الكريم. وسنخرج مما سبق ومما سيتبع بنتائج منها: -

١ - أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من قول البشر.
٢. أن القرآن الكريم قد حفظ بقدرة الله تعالى من أي تحريف أو تحوير أو ضياع أو إضافة.

وإن هذا التوازن الحرفي والموضوعي كما سنرى ضمن هذه الرؤيا الشاملة لظاهرة الاعجاز العددي يؤكد على أن هذا الاحكام كله يعجز عن الاتيان بمثله أي مخلوق فكيف إذا تناولنا الجانب البلاغي الذي يظهر إعجازاً وتوازناً وإحكاماً آخر كل ذلك في ثوب لغوي بديع أعجز أساطين البلاغة في زمنها سوف نردد لا شك بلا أدنى حرج وبخشوع عظيم: «الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير». ١/ هود.

«حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون» ١-٣/ فصلت.

٤ ـ التوازن الحَرْفّي

المقصود بالتوازن الحرفي هو ذلك الإعجاز القرآني الذي يبدو لنا في مجال حروف القرآن الكريم من حيث عددها وتكراراتها وترابطها مع غيرها.

ولا شك أن التوازن الحرفي ـ كظاهرة إعجازية من ظواهر إعجاز القرآن الكريم ـ ليست أمراً جديداً كل الجدة، فقد تنبه الأولون لذلك واهتموا بإحصاء أحرف القرآن الكريم وتوصلوا إلى استنتاج دلالات لذلك كمجموع حروف البسملة الشريفة (بسم الله الرحمن الرحيم) وكذلك توصلوا إلى أن الأحرف التي تبدأ بها بعض سور القرآن الكريم هي نصف الحروف الهجائية فقط (١٤ حرفا) وأنها إذا ما أحصيت في سورة تفوقت في عددها على مجموع سائر الحروف الأخرى في السورة نفسها. ثم ذهبوا إلى ما هو أبعد من هذا عندما تكشف لهم أن بعض الآيات خاصة فيها أحرف معينة تزيد في مجموعها على مجموع الحرف نفسه في سائر آيات القرآن الكريم.

فلو نظرنا في (خزينة الأسرار)[١] لجامعها محمد حقي النازلي نجد باباً يعقده (لأقوال الأئمة والمشايخ في خواص الخمس الآيات القرآنية في كل آية عشر قافات): فمجموع القاف فيها خمسون قافاً وهي خمس آيات في خمس سور أربع متواليات أولها البقرة وأخرها المائدة، وآية في سورة الرعد.

ولكن فكرة الرقم ١٩ وهو عدد حروف البسملة وأنه ذو دلالة خاصة بحيث يعتبر ـ كما سنرى تفصيلاً ـ ميزاناً لسائر حروف القرآن الكريم وميزاناً للنظام الإحصائي العددي في القرآن الكريم هذه الفكرة بالذات لم يتطرق إليها أحد من الأقدمين وإنما برزت مع الدراسات الحديثه واستخدام الحاسب الالكتروني (الكمبيوتر) فكان أول من فصل فيها القول هو الدكتور محمد رشاد خليفة كما ذكرنا في الفقرات السابقة.

بالاضافة لما بحثناه في الفقرة الثالثه من هذا الباب فإننا سنجد ترابطاً كاملاً وتاماً بين الآ ية: (**بسم الله الرحمن الرحيم**) وبين حروف فواتح السور التي تبدأ بها بعض السور.

---

(١) محمد حقي النازلي. خزينة الأسرار. بيروت: دار الفكر، (١٢٨٦هـ).

وان آية (بسم الله الرحمن الرحيم) نجد فيها (بسم)والتي هي في الاساس: (باسم)، لكن كتبت عمداً (بسم) وحروف البسملة هذه تتركب من الحروف المستعملة في فواتح السور ما عدا حرف الباء ومع أن حرف الألف في باسم أساسي إلا أن الباء ضرورية للمعنى فكتبت بسم وسنلاحظ أن بسم تتكرر في القرآن ٣ مرات وكلمة اسم تتكرر ١٩ مرة ونجد أن الحروف المستعمله في فواتح السور ١٤ حرفا وتدخل في ١٤ فاتحة وهذه الفواتح تتواجد في ٢٩ سورة فاذا جمعنا ذلك سنجد: ١٤+١٤+٢٩ سورة = ٥٧ ، وأن عدد ١٩ هو الرقم الذي نجده للفظة اسم إذا ضربناه في العدد ٣ وهو لفظة بسم سيكون الناتج رقم ٥٧ .ولنأخذ الآن حروف فواتح السور لنرى عجباً:

١ ـ الحرف ق:

هذا الحرف تواجد في سورتين من سور القرآن: سورة (ق) وسورة الشورى. وعدد حرف ق في سورة ق هو ٥٧ حرفا ١٩×٣، وعدد حرف ق في سورة الشورى هو كذلك ٥٧ حرفا ١٩×٣، مع أن سورة الشورى أطول من سورة ق بمرتين ونصف. فهنالك إذن سورتان فقط يتواجد فيهما الحرف ق بعدد حسابي وهو ٥٦ و ٥٦ وأضاف الله تعالى في بدايتها هذا الحرف ق كرمز أو علامة في أنه تعالى يعلم توزيع الحروف الأبجدية في رسالته وهو ق كرمز للقرآن الكريم فلو جمعنا حروف السورتين ٥٧ ق في سورة ق + ٥٧ ق في الشورى= ١١٤ وهـــذا يساوي عـــدد سور القرآن الكريم وكـأنـها تقول لنا هذه النتيجة أن الـ ١١٤ سورة هي القرآن الكريم والسؤال الآن: من الذي يمكن أن تتوفر لديه القدرة على معرفة توزيع الحروف الأبجدية في القرآن الكريم؟ ثم معرفة أن هناك سورتين فقط تحتويان على هذا العدد المتساوي لحرف ق الذي يساوي مجموعه في السورتين بالضبط عدد سور القرآن الكريم؟ من الذي يمكنه أن يعرف ذلك حتى قبل اكتمال نزول القرآن؟ هو الله تعالى سبحانه ولا شيء غير هذا.

وللايضاح أكثر في الحرف نفسه وفي أنه تعالى يقوى على التحكم والاحكام في توزيع الحروف الأبجدية في القرآن نذكر آية واحدة من سورة ق وهي آية رقم ١٣:

(وعادٌ وفرعونُ وإخوانُ لوط) ١٣/ق.

بدراسة هذه الآية نجد أن قوم لوط مذكورون في القرآن ١٢ مرة وفي كل مرة

يسمون قوم لوط ما عدا سورة ق إذ يسمون فيها: إخوان لوط، ولو استخدمت كلمة قوم لازداد عدد حرف ق وأصبح ٥٨ وهذا ليس من مكررات الرقم ١٩ فيختل النظام ويختفي. كما أنه لو حدث خلال ١٤٠٠ سنة الماضية أي تحوير أو تحريف بكلمة تحوي حرف ق في السورتين ق والشورى لاختل النظام واختفت هذه الظواهر الإعجازية.

٢ ـ الحرف ن:

وقد ورد في فاتحة سورة واحدة في القرآن هي القلم، فاذا عددناه في هذه السورة وجدناه مساوياً للرقم ١٣٣ والذي يساوي ١٩×٧ اي أن مجموع حرف ن في سورة القلم هو من مضاعفات الرقم ١٩.

٣ ـ الحرف ص:

نجده في افتتاحيات ثلاث سور: ـ الأعراف : المص، مريم: كهيعص، وسورة ص: ص. فإذا عددنا حرف ص في السور الثلاث وجدناه ١٥٢ وهو يساوي ١٩×٨، وزيادة في الدقة والاعجاز نرى أن الله عز وجل يأمر جبريل عليه السلام أن يوحي لمحمد صلى الله عليه وسلم بكتابة كلمة (بصطة) بالصاد وليس بالسين (بسطة) بالرغم من أن اللغة العربية كلها لا تحتوي كلمة بصط بالصاد، ولكنها لو كتبت بالسين لاصبح عدد حروف الصاد ١٥١ بدلاً من ١٥٢ فيختل النظام فالاول لا يقسم على ١٩ وليس من مكرراته فتجلى الخالق المبدع وتجلت حكمته وإحكامه في توزيع الحروف الأبجدية في القرآن الكريم، وهذه الاشارة مع ما ذكر حول حرف ق في إخوان لوط وليس قوم لوط تدلل على أن الامر مقصود وليس للصدفة دخل إطلاقاً ومما يؤكد ذلك أيضاً قوله تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين) ٩٦/ آل عمران، والأصل مكة وليس بكة ولكن جاءت الميم باء لئلا تخرج الميم على القاعدة ويختل النظام في التعداد والسورة تبدأ بـ (ألم) فحرف الميم في جميع السور التي تبدأ به وهي ١٧ سورة مجموعه ٨٦٨٣ وهو يساوى ١٩×٤٥٧.

٤ ـ وأخيراً سيبلغ الإعجاز غايته عندما نتطرق لهذه الظاهرة: في السور ذات الفواتح المتعددة الحروف نجد أن الحروف عندما نجمعها ليس فقط في السورة نفسها وإنما في السور المختلفة التي يوجد فيها الحرف نفسه نجد مجموع هذه

الحروف من مضاعفات الرقم ١٩.

فلو أخذنا حرف الألف الذي نجده في ١٣ سورة وجمعناه فيها كلها وجدنا مجموعه ١٧٤٩٩ وهو يساوي ١٩×٩٢١، (أنظر جدول ٢)، وكذلك فان حرف اللام نجده في ١٣ سورة ومجموعه فيها كلها هو ١١٧٨٠ ويساوي ١٩×٦٢٠، وهذه السور الثلاث عشرة التي يوجد فيها حرف الف وحرف لام هي البقرة، آل عمران، الأعراف، يونس، هود، يوسف، الرعد، إبراهيم، الحجر، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة.

٥ ـ كذلك الحرف ميم كما رأيناه يتكرر في ١٧ سورة هي السور: البقرة، آل عمران، الأعراف، الرعد، الشعراء، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثيه، الأحقاف. ومجموع هذا الحرف فيها ٨٦٨٣ وهو من مضاعفات الرقم ١٩ ويساوي ١٩×٤٥٧.

٦ ـ أما الحرف ر فهو يتكرر في فواتح ٦ سور مجموعه فيها ١٢٣٥ ويساوي ١٩×٦٥.

٧ ـ حرف ص يتكرر في فواتح ٣ سور هي الأعراف، مريم، ص، مجموعه فيها ١٥٢ ويساوي ١٩×٨

٨ ـ حرف ح يتكرر في ٧ سور مجموعه فيها ٣٠٤ أي أنه من مضاعفات الرقم ١٩ ويساوي ١٩×١٦

٩ ـ سوف نلاحظ في سورة طه أن مجموع عدد حرف الطاء (ط) ومجموع عدد حروف الهاء (هـ) يبلغ ٣٤٢ حرفاً وهو يساوي ١٩×٨، وإذا ما جمعنا حرف ط في كل السور التي تفتتح به وهي أربع سور: طه، الشعراء، النمل، القصص لوجدنا مجموعه ١٠٧ حرفاً وأضفناه لمجموع الحرف هـ في السور التي تفتتح به وهو ٤٨٢ حرفاً لوجدنا المجموع ٥٨٩ وهو من مضاعفات ١٩ فهو يساوي ١٩×٣١ (كما في جدول ٢).

١٠ ـ وكذلك الأمر بالنسبة للحرفي مـــع الحرف س في سورة يس مجموع الحرفين في سورة يس ٢٨٥ =١٩×١٥ (كما في جدول ١)

أما إذا جمعنا حرف ي في السور التي تفتتح بها مثل مريم ويس وفي حرف س في السور التي تفتتح بها مثل يس، الشعراء، النمل، القصص، الشورى فان مجموع

السينات بالاضافة إلى مجموع الياء يساوي ٣٨٧ + ٥٨٢ = ٩٦٩ وهو من مضاعفات ١٩ ويساوي ١٩×٥١ (انظر جدول ٢).

١١ - بالنسبة للحرفين حم يتكرران في سبع سور ومجموع الحرف حاء وحده من مضاعفات العدد ١٩ وكذلك بالنسبة لحرف الميم وإن مجموع الحرفين معاً في السور السبع يبلغ ٢١٦٦ حرفاً وهو ما يساوي ١٩×١١٤ و ١١٤ هو عدد سور القرآن الكريم وهنا نذكر أن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كان إذا ما اشتد عليه أمر يقرأ (حم) سبع مرات ثم يقول بعدها، (حُمَّ الأمر وجاء النصر وعلينا لا ينصرون) والسور السبع التي تفتتح بالحرف (حم هي غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.

١٢ - إذا عددنا الحرف أ والحرف ل والحرف م في السور الثمانية التي تفتتح بالحروف الم وهي البقرة، آل عمران، الأعراف، الرعد، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة نجد المجموع ٢٦٦٧٦ = ١٩×١٤٠٤

١٣ - إذا عددنا الحروف أ، ل، ر في السور الخمس التي تفتتح بالحروف الر وهي سور يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر ثم يضاف عدد الحرف م في سورة الرعد (المر) نجد المجموع ٩٧٠٩ = ١٩×٥١١

١٤ - إذا عددنا الحرف ط في السور الأربعة التي تفتتح بهذا الحرف وهي طه، الشعراء، النمل، والقصص وكذلك الحرف س في السور الخمسة التي تفتتح بهذا الحرف وهي الشعراء، النمل القصص، يس والشورى نجد أن مجموع الحرفين ط، س هو ٤٩٤ = ١٩×٢٦

أما مجموع الحروف ط في السور الأربعه و س في السور الخمسة وحرف م في السور السبع عشرة فهو يساوي ٩١٧٧ = ١٩×٤٨٣

١٥ - حرف م في السور السبع عشرة التي تفتتح بهذا الحرف = ٨٦٨٣ وهو يساوي ١٩×٤٥٧ والسور هي البقرة، آل عمران، الأعراف، الرعد، الشعراء، القصص العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، والأحقاف

١٦ - مجموع الحروف أ، ل م، ر في سورة الرعد التي تفتتح بالحروف المر يساوي ١٥٠١ = ١٩×٧٩

١٧ - مجموع الحروف أ، ل، م، ص في الأعراف المفتتحة بالحروف المص يساوي

٢٨٢×١٩ = ٥٣٥٨

١٨ ـ مجموع الحروف ك، هـ ، ي ، ع، ص في سورة مريم كهيعص يساوي ٧٩٨ = ٤٢×١٩

١٩ ـ مجموع الحروف ح، م، ع، س ، ق في الشورى حمعسق يساوي ٥٧٠ = ٣٠×١٩

٢٠ ـ مجموع الحرف أ في السور الثلاث عشرة التي تُفتتح به = ١٧٤٩٩ أي ٩٢١×١٩ ومجموع الحرف ل في السور الثلاث عشرة نفسها التي تفتتح به = ١١٧٨٠ = ١٩×٦٢٠ ، وهذه السور هي: البقرة، آل عمران، الأعراف، يونس، هود، يوسف، الرعد، إبراهيم، الحجر، العنكبوت، لقمان، السجدة.(١)

٢١ ـ إن عدد الأرقام المذكوره في القرآن الكريم (أربعين ليلة، سبع سموات، أربعة أشهر وعشراً ..الخ) هي ٢٨٥ رقماً، وهذا العدد (٢٨٥) = ١٩×١٥

إن مجموع الـ (٢٨٥) رقماً الموجودة في القرآن الكريم يساوي ١٧٤٥٩١ وهذا المجموع هو من مضاعفات الرقم ١٩ حيث يساوي ١٩×٩١٨٩.

إذا ما استثنينا الأرقام المكررة في القرآن الكريم (أي يؤخذ ٤٠ أربعين واحدة ، سبعة واحدة، وهكذا) نجد أن المجموع لهذه الارقام بدون مكرراتها يبلغ ١٦٢١٤٦ وهذا الرقم هو أيضاً من مضاعفات ١٩ ويساوي ١٩×٨٥٤٣

٢٢ ـ كما ذكرنا من قبل فإن القرآن يتركب من ١١٤ سورة تفتتح كل سورة ببسملة عدا سورة التوبه أي هنالك ١١٣ بسملة ولكن لو رقمنا سور القران الكريم ابتداء من التوبة رقم ١ ثم يونس رقم ٢ وهكذا سنصل إلى الرقم ١٩ وهي سورة النحل التي تحتوي على بسملتين : البسملة الافتتاحية والبسملة في الآية ٣٠ **(إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم)** ٣٠/النحل.

والاعجاز في النظام الحسابي القرآني سوف يبرز لنا هنا مرة أخرى عندما نجد أن عدد الكلمات بين البسملتين في سورة النمل هو ٣٤٢ كلمة وهذا العدد يساوي ١٩×١٨.(٢)

---

(١) صحيفة الدستور الاردنية: العدد ٤٨٨٣ تاريخ ١٩٨١/٣/١٦ . ص ١٩ من مقال ما هو سر الرقم ١٩ في سور وآيات القرآن الكريم. بقلم الدكتور رشاد خليفة.

(٢) المصدر السابق نفسه. الدستور عدد ٤٨٨٣ .

(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) ٨٨/الاسراء

ألا يدلل كل ذلك أن القرآن الكريم هو رسالة الله عز وجل إلى الناس كافة[١] ولا تأتي وتجمع كل هذا صدفة عمياء ولا حساب حاسب من البشر.

(١) محمد رشاد خليفة. تسعة عشر. المرجع السابق نفسه ص ٢٠. ويقول المؤلف (المحاضر) معقبا: لقد سخرنا الكمبيوتر (العقل والحاسب الالكتروني) لهذه الغاية (الدراسة) حيث تُعد حروف القرآن بعد تحويلها لأرقام يمكن ان تتعامل معه (الكمبيوتر) فأعطى النتائج السابقة التي ذكرناها.

ولمزيد من الايضاح انظر الجداول التالية [1] : ـ

جدول رقم (١)

الفواتح	عدد السور	مجموع حروفها	مضاعفات الـ ١٩
ن	١	١٣٣	٧ × ١٩
ق	٢	١١٤	٦ × ١٩
ص	٣	١٥٢	٨ × ١٩
يَس	١	٢٨٥	١٥ × ١٩
طهَ	١	٣٤٢	٨ × ١٩
طس	٦	٤٩٤	٢٦ × ١٩
طسم	٦	١٤٤٤	٧٦ × ١٩
حم	٧	٢١٦٦	١١٤ × ١٩
عسق	١	٢٠٩	١١ × ١٩
حم عسق	١	٥٧٠	٣٠ × ١٩
الم	٨	٢٦٦٧٦	١٤٠٤ × ١٩
الر	٥	٩٧٠٩	٥١١ × ١٩ + الرعد
المص	١	٥٣٥٨	٢٨٢ × ١٩
المر	١	١٥٠١	٧٩ × ١٩
كهيعص	١	٧٩٨	٤٢ × ١٩
المجموع		٤٩٣٨١	٢٥٩٩ × ١٩

(١) المرجع السابق نفسه . ص ٢١ . ص ٢٤ .

جدول رقم (٢)

الحروف	عددها	مضاعفات الـ ١٩
أ	١٧٤٩٩	١٩ × ٩٢١
ل	١١٧٨٠	١٩ × ٦٢٠
م	٨٦٨٣	١٩ × ٤٥٧
ر	١٢٣٥	١٩ × ٦٥
ص	١٥٢	١٩ × ٨
ح	٣٠٤	١٩ × ١٦
ق	١١٤	١٩ × ٦
ن	١٣٣	١٩ × ٧
ط + س	٤٩٤	١٩ × ٢٦
ط + هـ	٥٨٩	١٩ × ٣١
ي + س	٩٦٩	١٩ × ٥١
ع + س + ق	٧٢٢	١٩ × ٣٨
ح + م	٨٩٨٧	١٩ × ٤٧٣
أ + ل + م	٣٧٩٦٢	١٩ × ١٩٩٨
أ + ل + ر	٣٠٥١٤	١٩ × ١٦٠٦
ط + س + م	٩١٧٧	١٩ × ٤٨٣
أ + ل + م + ر	٣٩١٩٧	١٩ × ٢٠٦٣
أ + ل + م + ص	٣٨١١٤	١٩ × ٢٠٠٦

ملاحظة: في جدول ١ عدد السور هو عدد السور التي افتُتحت بالحرف المذكور في الخانة الاولى. وأما (عددها) في جدول ٢ هو مجموع هذه الحروف في السور التي افتُتحت بها.

والسور المشار إلى عددها في الجدول الأول مذكورة في الصفحات السابقة بموضوع التوازن الحرفي.

من ناحية أخرى، وفي مجال التوازن الحرفي نفسه، سنجد أن أعلى المتوسطات والمعدلات للحرف ق موجودة في سورة ق وقد تفوقت هذه السورة حسابياً على المصحف كله في هذا الحرف من حيث عدده البالغ بها ٥٧. وبالمثل سورة الشورى. سورة الرعد تبدأ بالحروف أ ل م ر. وتتوارد هذه الحروف في داخل السورة بمجاميع على هذا النحو:

أ ترد ٦٢٥ مرة

ل ترد ٤٧٩ مرة

م ترد ٢٦٠ مرة

ر ترد ١٣٧ مرة

في ترتيب تنازلي كما نرى وكما كتبت الحروف في أول السورة أل م ر وإن معدلات توارد هذه الحروف في المصحف هي أقل منها في سورة الرعد فهذه السورة تفوقت حسابياً في عدد توارد هذه الحروف على جميع المصحف.

والأمر نفسه نجده في البقرة. أ ٤٥٩٢ مرة، ل ٣٢٠٤ مرة، م ٢١٩٥ مرة وبالترتيب التنازلي نفسه، ولهذه الحروف الثلاثة تفوق حسابي على باقي الحروف في داخل السورة نفسها.

وكذلك نجد في سورة آل عمران أ وردت ٢٥٧٨ مرة، ل ١٨٨٥ مرة، م ١٢٥١ مرة. وبالترتيب التنازلي وهي تتوارد في السورة بمعدلات أعلى من باقي الحروف.

والامر نفسه في سورة العنكبوت حيث أ ترد ٧٨٤ مرة، ل ٥٥٤ مرة ثم م ٣٤٤ مرة. وبالترتيب التنازلي وهي تتوارد في السورة بمعدلات أعلى من باقي الحروف.

وكذلك الأمر في سورة الروم حيث أ ٥٤٧ مرة، ل ٣٩٦ مرة، م ٣١٨ مرة

وبترتيب تنازلي، وتتوارد بالسورة بمعدلات أعلى من باقي الحروف.

وفي جميع السور التي ابتدأت بالحروف أ ل م نجد ان السور المكية تتفوق حسابياً في معدلاتها من هذه الحروف على باقي السور المكية، والمدنية تتفوق حسابياً في معدلاتها من هذه الحروف على باقي السور المدنية.

وبالمثل في أ ل م ص سورة الأعراف، فمعدلات هذه الحروف هي أعلى ما تكون في سورة الأعراف وأنها تتفوق حسابياً على كل السور المكية في المصحف. وكذلك في سورة طه الحرف ط والحرف هـ وفي سورة مريم نجد أن الحرفين ط، هـ ترتفع معدلاتها على جميع السور المكية.

والأمر نفسه ينطبق على حم في جميع السور التي افتتحت به حيث معدلات توارد الحرف ح والحرف م تتفوق على جميع السور المكية في القرآن الكريم. (١)

وبالمثل فالسورتان اللتان افتتحتا بحرف ص وهما سورة ص والأعراف أ ل م ص وهما متتابعتان نزولاً في الوحي، إذا ضمتا معاً تفوقتا حسابياً في هذه الحروف على باقي سور القرآن الكريم.

وكذلك السور التي افتتحت بالحروف أ ل ر وهي إبراهيم ويونس وهود ويوسف والحجر، وأربع منها جاءت متتابعة في تواريخ الوحي، فإنها إذا ضمت لبعضها فإنها ذات أعلى معدلات في نسبة توارد حروفها أ ل ر على جميع السور المكية في القرآن الكريم.

أما في سورة يّس فإننا نلاحظ الدلالة الإحصائية نفسها ولكن معكوسة حيث ترتيب الحروف جاء بعكس الترتيب الأبجدي فنجد أن توارد الحرف ي و س في السورة هو أقل من تواره في جميع المصحف مكياً ومدنياً!!

وترتيب السور التي جاءت بها أ ل م كافتتاحيات لها هي:

البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة. ونجد أن تكرارات أ ل م في البقرة أعلى منها في آل عمران وهي في آل عمران أعلى منها في العنكبوت، وفي العنكبوت أعلى منها في سورة الروم، وبالترتيب التنازلي نفسه بالنسبة للسور كما كان بالنسبة للحروف. (٢)

---

(١) مصطفى محمود. حوار مع صديقي الملحد. دار المتوسط بيروت ص ١٠٦ - ١١١.

(٢) المرجع السابق نفسه. الصفحات نفسها.

إن التوازن الحرفي هو أحد وجوه الإعجاز العددي أو الإحصائي للقرآن الكريم. وهذا الوجه بالإضافة إلى ما سوف نستعرضه من حيث التوازن في موضوعات القرآن الكريم كذلك من حيث عدد تواردها، سوف يجعلنا نقف أمام ظاهرة الاعجاز العددي التي إذا ما تذكرنا معها تلك الجوانب الرائعة من الاعجاز البلاغي وما سنعرضه من جوانب الاعجاز العلمي وما أشرنا إليه في المقدمة من وجوه الاعجاز القرآني، فاننا لا شك سوف نظل في حيرة ودهشة بل في انبهار أمام عظمة هذا البناء الفذ الذي هو في منتهى الاحكام والتماسك والتوازن جاءنا على يدي رجل أمي - صلى الله عليه وسلم - وعلى مدى ٢٣ عاماً. وصدق الله عز وجل:

«لو أنزلنا هذا القرآنَ على جبلٍ لرأيتَهُ خاشِعاً متصدّعاً من خشيةِ الله..» ٢١/الحشر.

«كتابٌ أُحكمت آياته ثم فصِّلت...» ١/ هود.

٥ - التوازن الموضوعي

«الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان» ١٧ / الشورى.

إن في القرآن الكريم من التناسق والاتزان ما يشمل كل ما جاء به، ويظهر هذا التناسق وهذا الاتزان في التماثل العددي للحروف والتكرار الرقمي للموضوعات القرآنية.

وفي هذه العجالة سننظر كيف تتساوى أعداد ألفاظ الموضوعات المتشابهة أو المتماثلة أو المترابطة أو حتى المتقابلة (المتناقضة: المضادة)، وكيف تتوزع توزيعاً دقيقاً على آيات القرآن الكريم المتباعدة في السور وفي النزول وحياً على رسول الله صلى الله عليه وسلم. لتأتي هذه الآيات - وينتظمها هذا التوازن الموضوعي العظيم الدقة - في قمة البلاغة والإحكام كما رأينا في الباب الأول وفي ذروة البيان الجميل. مما يدلل بما لا يدع مجالاً للشك أنه ليس مجرد مصادفة عشوائية عمياء تأتي بكل هذا، بل هو توازن مقصود دقيق في منتهى الربط والإحكام. وكأن القرآن الكريم هو في النهاية الصورة المجلوة للكون بترابطه وإحكامه فكما أن الكون فيه كل شيء بمقدار وميزان وكل شيء يرتبط بغيره بحساب دقيق لتؤدي كل الأشياء في النهاية وظائف متعددة وتقوم بأدوارها البديعة ضمن روابط وعلاقات غاية في التشابك المحكم فإن القرآن الكريم كذلك تتشابك حروفه وتترابط كلماته وتسير آياته وسوره في علاقات مختلفة ولكنها كلها في النهاية تؤدي أدوارها الرائعة ضمن ذلك كله في غاية الإحكام والاتزان.

وتوازن موضوعات القرآن الكريم يعتبر صورة أخرى تضاف إلى جانب صور الاعجاز اللامتناهية للقرآن العظيم والتي تقرر في النهاية أنه من وحي الله عز وجل وأنه فوق أي قدرة وأعلى من استطاعة البشر وأبعد من كل حدود عجز عندها العقل واقفاً ينظر بذهول ودهشة. فهو وجه من الاعجاز دليله العدد والحساب.

فلننظر نظرة سريعة إلى هذا الجانب: -

موضوع الدنيا يقابله موضوع الآخرة. سنجد أن الدنيا تكرر لفظها في القرآن الكريم ١١٥ مرة، والآخرة تكرر لفظها بالعدد نفسه. (١)

---

(١) عبدالرزاق نوفل. الاعجاز العددي للقرآن الكريم. : ١ ط ٢٣، ج ٢ ط ١. دار الشعب القاهرة. ١٩٧٥.

أما الشياطين والملائكة فقد تكرر لفظ كل منهما في القرآن ٨٨ مرة.

وأما موضوع الحياة والموت فسنجد أن لفظ الحياة ومشتقاته قد تكرر ١٤٥ مرة كذلك الموت ومشتقاته قد تكرر بالعدد نفسه.

وسنجد موضوع البصر والبصيرة، والقلب والفؤاد: الأول بمشتقاته تكرر ١٤٨ مرة وبالعدد نفسه تكرر موضوع القلب والفؤاد ومشتقاته.

وأما النفع ومقابله الفساد بمشتقاتها قد تكرر كل منهما ٥٠ مرة. الصيف والحر، والشتاء والبرد: تكرر الأول ٥ مرات والثاني تكرر كذلك ٥ مرات. البعث والصراط: تكرر لفظ البعث ومشتقاته ومرادفاته ٤٥ مرة، كذلك الصراط ومشتقاته تكرر بالعدد نفسه.

الصالحات وبالمقابل: السيئات: تكرر اللفظ الأول بمشتقاته ١٦٧ مرة وكذلك السيئات بمشتقاته تكرر بالعدد نفسه.

الجحيم والعقاب: تكرر الأول ٢٦ مرة والثاني بالعدد نفسه.

الفاحشة والغضب: تكررت الفاحشة ومشتقاتها ٢٤ مرة وتكرر الغضب ومشتقاته بالعدد نفسه.

الأصنام والخمر والخنزير: تكررت ألفاظ هذه المحرمات كل منها ٥ مرات.

اللعنة والكراهية: اللعن بمشتقاته تكرر ٤١ مرة وكذلك الكراهية بمشتقاتها.

الرجس والرجز: تكرر الأول (الخبيث من العمل) ١٠ مرات ومشتقاته. وتكرر الرجز (العذاب الاليم) ومشتقاته ١٠ مرات أيضاً.

الضيق ويقابله الطمأنينة: تكررا بمشتقاتها ١٣ مرة.

الطهر والاخلاص: تكرر كل منهما بمشتقاته ٣١ مرة.

الناس والرسل: تكرر كل منهما بمشتقاته ٣٦٨ مرات.

الفرقان وبني آدم: تكرر لفظ الفرقان ٧ مرات ولفظ بني آدم ٧ مرات.

محمد صلى الله عليه وسلم والسراج: تكرر اسم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ٤ مرات وكذلك لفظ السراج تكرر ٤ مرات. وهنا نلفت النظر إلى أن الله عز وجل شبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالسراج فهو القائل: «**يا أيها النبي إنا ارسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً**» ٤٥، ٤٦

الاحزاب.

الركوع والحج: تكرر كل لفظ منهما بمشتقاته ١٣ مرة.

القرآن والاسلام: ٧٠ مرة تكرر لفظ القرآن بمشتقاته وكذلك تكرر بالعدد نفسه الاسلام والوحي ويوم القيامة والملائكة.

رسالة الله وسور القرآن: تكرر كل موضوع منها بمشتقاته ١٠ مرات.

الايمان، والعلم والمعرفة: تكرر لفظ الايمان بمشتقاته ٨١١ مرة وموضوع العلم والمعرفة تكرر بالعدد نفسه.

الايمان والكفر: تكرر لفظ الايمان ١٧ مرة ولفظ الكفر ١٧ مرة.

وكما ذكرنا تكرر الايمان ومشتقاته ٨١١ مرة بينما الكفر ومشتقاته تكرر ٦٩٧ مرة والفارق هو ١١٤ عدد سور القرآن الكريم الفارق بين الايمان والكفر!!

الأبرار والفجار: ذكر الابرار ٦ مرات ضعف الفجار الذي تكرر ٣ مرات.

اليسر والعسر: تكرر اليسر بمشتقاته ٣٦ مرة ٣ أضعاف العسر وهو ١٢ مرة.

إبليس والاستعاذة منه: تكرر كل منها ١١ مرة.

السحر والفتنة: تكرر كل منها بمشتقاته ٦٠ مرة.

المصيبة والشكر: تكرر كل منها بمشتقاته ٧٥ مرة.

الإنفاق والرضى: تكرر كل منها ومشتقاته ٧٣ مرة.

البخل والطمع والجحود والحسرة: تكرر لفظ كل منها ١٢ مرة مع مشتقاتها.

السلطان والنفاق: كل منها بمشتقاته تكرر ٣٧ مرة.

الجبر والقهر والعتو: تكررت بمشتقاتها كل منها ١٠ مرات.

العجب والغرور: تكرر كل منها بمشتقاته ٢٧ مرة.

الخيانة والخبث: تكرر لفظ الخيانة ومشتقاته ١٦ مرة وكذلك الخبث بمشتقاته.

الكافرون والنار: ١٥٤ مرة تكرر لفظ كل منها بمشتقاته.

الضالون والموتى: تكرر لفظ الضالين بتصاريفها المختلفة ١٧ مرة وكذلك الموتى.

المسلمون والجهاد: تكرر ذكر المسلمين ٤١ مرة وبالعدد نفسه يتكرر الجهاد (١)

(١) المرجع السابق نفسه. الصفحات نفسها.

ومشتقاته.

الدين والمساجد: يتكرر كل موضوع منها بمشتقاته ٩٢ مرة.

التلاوة والصالحات: يتكرر كل موضوع منها بمشتقاته ٦٢ مرة.

الصلاة والنجاة: يتكرر لفظ الصلاة والمصلي ٦٨ مرة وكذلك عدد النجاة.

الزكاة والبركات: كذلك يتكرر ذكر الموضوعين بالعدد نفسه ٣٢ مرة.

الصيام والصبر والدرجات: تكرر الصوم بمشتقاته ١٤ مرة وكذلك الصبر والدرجات. لفظ الصوم وحده تكرر ١٠ مرات والشفقة بمشتقاتها ١٠ مرات.

العقل والنور: ٤٩ مرة تكرر كل لفظ منها بمشتقاته.

اللسان والموعظة: تكرر كل موضوع منها بمشتقاته ٢٥ مرة.

السلام والطيبات: تكرر كل منها بمشتقاته ٥٠ مرة.

الحرب والأسرى: كل موضوع منها بمشتقاته تكرر ٦ مرات.

قرر القرآن الكريم أن السماوات هي ٧ وكرر هذه الحقيقة تحديداً ٧ مرات وبالعدد نفسه أي ٧ مرات قرر خلق السماوات والأرض في ستة أيام.

تكرر فرعون ٧٤ مرة والسلطان ٣٧ مرة والابتلاء ٣٧ مرة ففرعون بمجموع السلطان والابتلاء.

الصلاة ٦٨ + الزكاة ٣٢ والصوم ١٤ = ١١٤ سور القرآن

أما لفظ الجهر فهو يتكرر نصف موضوع السر الذي يتكرر ٣٢ مرة.

النبوة ٨٠ مرة، السُّنَّة ١٦ مرة فالنبوة تكررت خمسة أضعاف السُّنَّة.

لفظ قالوا (وهو ما قاله الخلق جميعاً) يتكرر ٣٣٢ مرة، وهو يساوي تماماً لفظ قل (وهو الأمر من الله عز وجل للخلق جميعاً).(١)

نظرة متعّجلة لهذه الظاهرة الإحصائية من حيث تكرار مرات توارد اللفظ الواحد وتساويها مع لفظ مشابه أو لفظ مقابل (مضاد)، تجعلنا نقف أمام توازن جديد من حيث طرق الموضوع عدداً محدداً من المرات وعلاقة ذلك بموضوع يترابط معه أو مضاد له. فالصلاة يتكرر لفظها ٦٧ مرة والمصلي مرة = ٦٨ والنجاة كذلك يتكرر موضوعها ٦٨ مرة وكأنما يقول لنا القرآن الكريم أن النجاة لا تكون بغير

(١) المرجع السابق نفسه.

الصلاة. وكذلك كما رأينا في موضوع المسلمين والجهاد حيث يتكرران بالعدد نفسه ٤١ مرة وكأن في الأمر إشارة الى أن المسلمين ملتزمون بالجهاد ماداموا كذلك.

★ ● ★

إن ظاهرة الإعجاز العددي إذا ما نُظر لها بإمعانٍ وإنصاف ووضعت إلى جانب الوجوه الأخرى من الاعجاز القرآني لوقفنا عند حقيقة بسيطة ولكنها واضحة قوية تقول لنا:

«الله الذيِ أنزل الكتاب بالحق والميزان» ١٧/ الشورى

«الر كتاب أُحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» ١/ هود.

١ - إن القرآن الكريم لا يمكن على هذا الوجه المحكم المتماسك العظيم أن يكون من قول البشر، فلا هي الصدفة العمياء ولا علم الحاسبين يأتيان بكل هذا.

٢ - وأنه قد حُفظ بقدرته تعالى من أي تحوير وتبديل أو ضياع وإضافة وأنه صدق تعالى إذ قال «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» ٩/ الحجر.

«وإنه لكتابٌ عزيزٌ لا يأتيه الباطل من بين يديهِ ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» ٤١، ٤٢/ فصلت. فهو معدود بالحرف، غير قابل لزيادة أو نقص.

٣ - وإن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الباقية والحجة البالغة على الخلق أجمعين. «حم. والكتاب المبين. إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون. وإنه في أم الكتاب لدينا لعليٌّ حكيم» ١ - ٤/ الزخرف.

الباب الثالث

الاعجاز العلمي

١ـ تمهيد.
٢ـ الانسان.
٣ـ الكون.
٤ـ الطبيعة الجوية.
٥ـ إشارات علمية متفرقة.

١ - تمهيد

١ - إن نتيجة مثل هذا البحث - مما سنعرضه في هذا الباب - هو الاعتراف بأن القرآن الكريم منزل من الله عز وجل، وإن نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كمؤلف له يتنافى مع أبسط محاولة - لإعمال العقل والفكر وعبر هذا الباب سنجد أنه لو كان هذا القرآن الكريم من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم لما أقحم نفسه بقضايا علمية ستكشف الأيام بطلانها بل جاءت تلك القضايا المبثوثة في القرآن لتصدقه وأنه خاتم الرسل وأن القرآن الالهي المصدر دستور كل الأزمنة ومعجزتها المتجددة. وأن الرجل العظيم الذي يمتلك هذه المقدرة الفذة على التأليف ثم على الكشف العجيب قبل كل هذه المئات من السنين لأجدر أن ينسبه إلى نفسه لا إلى غيره. وكيف يبني مبدأه الداعي إلى الحق والصدق والخير على الكذب؟

٢ - على الرغم من أن القرآن الكريم ليس كتاب علوم إلا أنه جاء بوصف شامل عن العالم المادي في صورة أصول وجوامع من العلم الدقيق الصحيح وساق الكثير من الحقائق العلمية التي لم يتوصل إليها إلا بعد مئات السنين من تنزيله.

٣ - لم تتعارض أية معرفة علمية ثابتة وصادقة مع ما جاء به القرآن الكريم ورغم زخم الكشف العلمي لم يبد أي تفاوت: في القرآن، مع العلم أن المقصود بالمعرفة العلمية الثابتة الصادقة هو ما صدق من قوانين علمية راسخة بالتجربة والبرهان والكشوف العلمية التي أيدتها الأدلة والبراهين القاطعة. **(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.)** ٨٢/النساء

٤ - إن الاعتماد على هذه القوانين العلمية الراسخة والكشوف العلمية المؤيدة بالدليل والبرهان في تفسير الآيات الواضحات والتي تقرؤها على ضوء هذه القوانين والكشوف وكأنها نص قانون علمي حديث - (وهي بالحق نص سنة إلهية لم يفعل الزمن والعلم الحديث أكثر من كشفها باعتبارها جزءاً من منظومة السنن الإلهية التي تربط الكون كله) - في اعتمادنا هذا نبتعد عما يخشاه البعض من بناء تفسير آي القرآن الكريم على مجرد آراء علمية ونظريات قابلة بفعل الزمن

للتبديل أو البطلان أو الخطأ مما نثبت معه عجز القرآن لا إعجازه. [1]

٥ - من خلال هذه الرؤيا سنتعرض لهذا البحث وسوف نعرض الآية القرآنية والكشف العلمي المقابل ، فاذا احتاجت إلى شيء من التعليق فسنفعل وإلا فسنكتفي بتلك المقابلة.

---

(١) يتحدث الشيخ محمد متولي شعراوي عن العلم فيقول بانه يمر بمرحلتين: التصور، والتصديق. أي نحن نتصور الفاظ القضية التي سنتحدث عنها وليس في التصور نسبة لأن النسبة أن نحكم على شيء بشيء آخر وهنا يجب ان تكون هذه النسبة مسبوقة بعلم التصور. والتصديق هو المرحلة التالية وهي العلم. والحقيقة العلمية هي نسبة واقعة مجزوم بها وعليها دليل. أما اذا جزمنا بنسبة ليست واقعة فهذا هو الجهل فأن أجزم أو أصدق قضية غير واقعة فهذا تدليل على شيء غير حقيقي وهو الجهل بعينه.

ويؤكد الشيخ شعراوي على تطابق الحقيقة العلمية للحقيقة القرآنية عندما تكون الحقيقة العلمية هي ما ذكرنا سابقا وليست مجرد نظرية أو تخمين أو وهم. وكذلك الامر بالنسبة للحقيقة القرآنية فقد يتوهم البعض بحقيقة قرآنية وهي ليست كذلك كأن يدلل على ان الارض مسطحة بقول القرآن (والأرض مددناها..) ١٩/ الحجر، علماً بأن المد يعني استمرار البسط بلا حافة وهذا لا يكون الا لجسم كروي، فمن أي موقع على الارض تجد الارض ممدودة ومبسوطة وهذا لا يحدث الا اذا كانت الارض كروية. اذن القول بان الارض مبسوطة ليست حقيقة قرآنية ولكنه فهم متسرع غير سليم لمدلول لفظ المدّ في قوله تعالى مما ينشأ معه تعارض وهمي بين حقيقة كونية وحقيقة قرآنية. (معجزة القرآن. محمد متولي شعراوي. القاهرة المختار الاسلامي للنشر، ١٩٧٨. ص ٤٣).

٢ ـ الانسان

(سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهِم حتى يتبين لهم أنه الحقّ) ٥٣/فصلت

●●●

(واللهُ خلقكم من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم جعلكم أزواجاً..) ١١/ فاطر، (يا أيها الناسَ إن كنتُم في ريبٍ من البعثِ فإنا خلقناكم من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم من علقةٍ ثم من مضغةٍ مُخلّقةٍ وغيرِ مُخلّقةٍ لنبيّن لكم ونُقرُّ في الأرحام ما نشاء إلى أجلٍ مسمى ثم نخرجُكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدّكم ومنكم من يتُوفى ومنكم من يُردُّ إلى أرذل العمرِ لكيلا يعلم من بعد علمٍ شيئاً..) ٥/ الحج، (.. يخلقكم في بطون أمهاتِكم خلقاً من بعدِ خلق في ظلمات ثلاث..) ٦/ الزمر، (ما لكم لا ترجون لله وقاراً، وقد خلقكم أطواراً) ١٣، ١٤/ نوح.

لقد أثبت العلم أن جسم الانسان يتكون من عناصر التراب وبالتحليل وجد أنه يتكون من ١٦ عنصراً وهي عناصر التراب أو القشرة الأرضية الخصبة [١]

كما أثبت العلم أن البداية الحقيقية للجنين تبدأ كما صرح القرآن الكريم بالنطفة وذلك باتحاد الحيوان المنوي الذي يفرزه الذكر بالبويضة التي تفرزها الأنثى ـ (والاثنان يتكونان من الدم الذي يتكون بدوره من المادة اللبنية الناتجة من الكيلوس وهو عبارة عن نواتج هضم الغذاء: (من بين فرث ودم لبناً خالصاً..) ٦٦/النحل، ـ وأثبت العلم كذلك أن السائل المنوي الذي تسبح فيه الحيوانات المنوية يتكون من صلب الرجل وظهره كما أن بويضات الأنثى تتكون من عظام صدرها: **(فلينظر الانسان مم خلق، خلق من ماءٍ دافق. يخرج من بين الصلب والترائب)** ٥، ٦، ٧/ الطارق، وهذه النطفة كما ذكرنا تتكون كما نص القرآن الكريم: **(إنا خلقنا الانسان من نطفةٍ أمْشَاجٍ نبتليه)** ٢/ الانسان والامشاج تعني الأخلاط، **فباندماج الحيوان المنوي بالبويضة تكتمل خلية مخصبة من ٢٣ زوجاً من الكروموزومات، وهذه الخلية تبدأ بالانقسام إلى خلايا لتكون في مجموعها علقة مشابهة لعلقة الناموس المستطيلة حيث تعلق بجدار الرحم وتبقى كذلك ٤٠**

---

(١) محمد متولي شعراوي. معجزة القرآن. المرجع السابق. ص ٣٢.

يوماً، وعندها تبدأ بالاستدارة، والتكور لتأخذ شكل قطعة اللحم الممضوغ ليونة وعدم انتظام شكل: (ثم كان علقة فخلق فسوى) ٣٨/القيامة، وبعدها مباشرة تبدأ الخلايا بتكوين أجزاء الجنين مصداق قوله تعالى: (..فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر..)١٤ / المؤمنون . وفي علم الأجنة التشريحي أن خلايا العظام هي التي تتكون أولاً في الجنين ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام وتمام الهيكل العظمي الغضروفي للجنين [١] فالغضاريف وهي مبدأ العظام تنشأ أولاً ثم براعم الأسنان والعظام ثم تنشط بعدها الخلايا لتكون الأنسجة والأجهزة التي تكسو العظام لحماً. فبعد تكون العظام يبدأ ظهور العضلات في الأسبوع الثاني عشر من عمر الجنين [٢].

وفي علم الأجنة أنه ما إن يوشك الشهر الثاني للحمل على الانتهاء حتى تتضح الخصائص الانسانية لهذا الجنين وهي في مراحل النمو السابقة لا نجد أية فروق بين جنين الانسان والحيوان ، ولكن مع الشهر الثالث واتضاح الخصائص الانسانية إذا بهذا الجنين (خلقاً آخر) . ويثبت العلم أن هذا الجنين أول أمره يشبه حيوان الخلية الواحدة (الوحيد الخلية)، ثم بتقدم الحمل يأخذ شبه الحيوان المتعدد الخلايا ثم يتطور ليأخذ شكل الحيوانات المائية ثم الحيوانات الثديية ثم شكل الانسان الذي يولد عليه: (وقد خلقكم أطواراً) ١٤/نوح، ويقرر العلم أن نشوء الكلى البشرية يضرب لنا مثلاً رائعاً لظاهرة التطور والخلق الآخر الذي ينتهي إليه الجنين: فبدلاً من أن تصنع المضغة في الرحم الكلى على الطراز الذي يستعمله الانسان في حياته دفعة واحدة نراها تصنع هذا العضو على النمط الذي يوجد في حيوان أدنى كالسمك (الحيوانات المائية) ثم بتقدم الحمل يضمر هذا العضو ليتكون على أنقاضه عضو آخر كالذي يستعمله حيوان أرقى كالضفدع (برمائي) ثم يضمر ليتكون على أنقاضه العضو البشري، وتصف هذا التطور في خلق الجنين ليصل إلى شكله الانساني بخصائصه الفذه في كتابها (قصة جنين) مارجريت شيا جلبرت والذي قدم له الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل: (أن ذلك التطور ليبدو كما لو كان إنشاء قاطرة بخارية حديثة حيث يتطلب من الصانع أن ينشئها أولاً على أقدم وأبسط نمط لصنع القاطرات ثم يمحو هذا النمط ومن أنقاضه وما يضيفه إليها من أجزاء يبني قاطرة أحدث، ثم بعد محاولات أخرى مماثلة يصل إلى أحدث طراز،

---

(١) سعيد حوى. الرسول صلى الله عليه وسلم. ط.٣ دار الكتب العربية. بيروت. ١٩٧٤. صفحة ٤٢. ج٢

(٢) الوعي الاسلامي. السنة ١٨. العدد ٢٠٦. مقال جسم الانسان والاعجاز القرآني. د. احمد شوقي الفنجري. ص ٥٦ ديسمبر ١٩٨١.

وهو ما يتم بتمام نمو الطفل)[١] (..يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق..) ٦/ الزمر. وأما الدكتور ميشيل هارت في كتابه (أعظم مائة رجل في التاريخ[٢] فيقول أن وليم هارفي وهو مكتشف الدورة الدموية ١٥٧٨ - ١٦٥٧ قد عارض نظرية التكون السابق - وهي نظرية تقول إن جميع أعضاء الجنين موجودة وجوداً سبقياً في الجرثومة (النطفة) - وأكد هارفي أن البنية النهائية للجنين تتطور بالتدريج. وبهذا القول يعتبر هارت أن هارفي جاء بشيء مبتكر يعتبر إضافة حقيقية للعلم الحديث مما استحق أن يصنف مع أشياء غيرها من بين المائة العظماء والذي وضع على رأسهم محمداً صلى الله عليه وسلم. ولكن ماذا كان سيقول الدكتور هارت لو أنه وقف على هذه الحقيقة التي فصلها القرآن تفصيلاً دقيقاً كما رأينا من قبل هارفي بألف عام؟!

وهذا نراه في الآية: (يخلقكم في بطونِ أُمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلماتٍ ثلاث..) ٦/الزمر. كما سنجد هنا أن علم الأجنة قد كشف ثلاثة أغشية صماء تحيط بالجنين في بطن أمه لا ينفذ منها الماء أو الضوء أو الحرارة فهي ظلمات ثلاث، ويطلق العلم عليها: الغشاء المنباري والحوربون والغشاء اللفائفي، وهذه الأغشية لا تظهر إلا بالتشريح الدقيق حيث تظهر كغشاء واحد بالعين المجرده.

أما قول الله عز وجل: (ونقرُّ في الأرحام ما نشاء..) ٥/الحج وقوله تعالى: (..ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين) ١٣/ المؤمنون، فنجد أن التشريح أثبت أن الرحم في أسفل بطن المرأة كأنه الوعاء بجداره العريض السميك تشده وتمسكه أربطة عريضة وأربطة مستديرة، ثم أجزاء من البريتون تشده إلى المثانة والمستقيم وكلها تحفظ توازن الرحم وتشد أزره وتحميه من الميل أو السقوط حيث تطول معا إذا ارتفع عند تقدم الحمل وتقصر إلى طولها الطبيعي تدريجياً بعد الولادة. فمن يدرك هذا ثم يتعرف على تكوين الحوض نفسه وعظامه سوف يدرك أيضاً المعنى الدقيق للآية: (..نطفةً في قرارٍ مكين) ١٣/المؤمنون (فجعلناه في قرارٍ مكين) ٢١ المرسلات.

الله عز وجل يُخبرنا أن أخذ الذرية يبدأ من الظهر وأن الانسان يبدأ خلقه من الماء الخارج من بين عظام الظهر والصدر ثم يبدأ الخلق والتخلّق في بطون الامهات. ونحن اذا نظرنا في الآية الكريمة: «وإذْ أخذَ رُّبكَ من بني آدم من

---

(١) عبد الرزاق نوفل. الله والعلم الحديث. دار الكتاب العربي. بيروت. ط ٣. ١٩٧٣ صفحة ١٤٤.

(٢) جريدة الاخبار عمان - الاردن. العدد ٦٧٦ تاريخ ١٩٧٩/٣/٢.

ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى شهدنا..» ١٧٢/ الاعراف.

سوف نجد علم الأجنة يقرّر أن الخصيتين تنبتان في ظهر الطفل عند أسفل الكليتين تماماً وتبقيان كذلك في ظهره حتى أشهره الأخيرة في بطن أمه ثم تنحدران الى أسفل لتكونا في مركزهما المعروف عند الولادة. وكذلك فإن مركز مبيض الأنثى في الجنين هو في الظهر تماماً تحت الكلى فسواء أكان الجنين ذكراً أو أنثى. فإنّ الذرية تؤخذ من ظهره.(١)

ولننظر الآن في هذه الآيات البينّات(٢): ـ

«ألم يَكُ نطفةً من مَنّي يُمنى. ثم كان علقةً فخلق فسوى. فجعل منه الزوجين الذكر والانثىٰ» ٣٧، ٣٨، ٣٩/ القيامة.

«وأنّه خلق الزوجين الذكر والأُنثى. من نُطفةٍ إذا تُمنى» ٤٥، ٤٦/ النجم.

سنجد أن هذه الآيات تخبرنا بأن النطفة الذكرية (الحيوان المنوي) هي التي تُحدّد الجنس (الذكر والأنثى) وأن من المني وليس العلقة جعل الله الزوجين الذكر والأنثى فالله تعالى يقول: فجعل منه (أي المني) ولم يقل فجعل منها. ثم إن الآية الثانية تؤكّد الحقيقة نفسها فالله خلق الذكر والأنثى من المني (من نطفةٍ إذا تُمنى). بالمقابل سنجد العلم يخبرنا بما يلي: أن الحيوان المنوي (النطفة الذكرية) فيه ٢٢ زوج كروموسومات تشبه ٢٣ زوج الكروموسومات الموجودة في البويضة، أما الزوج الثالث والعشرون في الحيوان المنوي فهو (زوج الكروموسوم الجنسي) الذي يحدد الذكورة أو الأنوثة فهو غير متشابه لأن فيه فرداً يشبه الكروموسوم الأنثوي وفرداً مخالفاً وعند التزاوج أو التلقيح فإن نصف الازواج الذكور ستتحد مع نصف الأزواج الأنثوية.

فاذا كانت الانصاف الذكرية الثلاثة والعشرون مشابهة للأنصاف الأنثوية الثلاثة والعشرين كان المولود أنثى، لأن أزواج الكروموسومات الثلاثة والعشرين الناشئة من عملية الإخصاب (المتحدة) كلها متشابهة. أما إذ ضمت الأنصاف الذكرية الثلاثة والعشرون فرداً من زوج الكروموسومات الجنسي غير المتشابه مع الأنصاف

---

(١) عبد الرزاق نوفل. المرجع السابق نفسه. صفحة ١٤٢.

(٢) انظر لهذا الموضوع (الانسان) موضوع العلم في القرآن الكريم. للدكتور احمد حسنين الفضل. مجلة الوعي الاسلامي. السنة ١٨ العدد ٢٠٦ ديسمبر ١٩٨١ ص ٧١ ـ ٨٧

الثلاثة والعشرين الأنثوية كان المولود ذكراً.

والتزاوج يتم كما يلي في الحالتين:

حيوان منوي ٢٢ فرد ذكر + [×] بويضة ٢٢ فرد انثى + [×]
٢٢ فرد ذكر + [Y] ٢٢ فرد انثى + [×]

في الحالة الاولى ٢٢ فرد ذكر + [×] مع ٢٢ فرد أنثى + [×]=
٢٢ زوج + [××] والناتج أنثى

في الحالة الثانية ٢٢ فرد ذكر + [y] مع ٢٢ فرد أنثى + [×]=
٢٢ زوج + [× y] والناتج ذكر.

والحقيقة البيولوجية الحديثة تُقرِّر بأن الحيوان المنوي الذي يفرزه الرجل هو وحده الذي يحتوي على عوامل تحديدالجنس **Sex DeterminationFacfor** فهو الذي يُحدّد جنس المولود ولا دخل للبويضة الأنثوية بذلك على الإطلاق[1].

ولننظر في هاتين الاشارتين:

---

(١) قبل التلقيح يكون في الحيوان المنوي ٢٣ كروموسوما وفي البويضة كذلك ٢٣ كروموسوما تتازج في عملية التقليح لتنتج خليه متكاملة فيها ٢٣ زوجا من الكروموسومات تنتظم معاً بحالة الأنثى أما إذا كان الناتج ذكراً فإنه تنتظم في ٢٢ زوجاً ولا ينتظم (يتزاوج) الكروموسومان المختلفان وكما ذكرنا فإن الجنس (أي ذكر أو أنثى) يحدده الحيوان المنوي الذي يفرزه الرجل وذلك بزوج من الكروموسومات يُسمى كروموسوم الجنس وهو يكون إما من نوع × (س) أو من نوع y (ع) فيتحدد جنس الأنثى بكروموسوم × من كلٍّ من الابوين ويتحدد جنس الذكر بكروموسوم × وكروموسوم y والأم لا تعطي سوى النوع × بينما يُعطي الأب كلا النوعين ×.

كما ذكرنا فإن الخلية الجرثومية (حيوان منوي أو بويضة) تحتوي على ٢٣ كروموسوما ولكن حين التلقيح تتكامل فتصبح ٢٣ زوجاً وحين تشارف البويضة الملقحة على الانقسام تتضاعف كروموسوماتها فينتقل إلى كل خلية جديدة مجموعة كاملة من الكروموسومات. وفي كل انقسامات الخلايا التالية وحتى وقت البلوغ تتضاعف على النحو المذكور ـ أما في وقت البلوغ فان الخلايا المتخصصة بالأخصاب تنقسم على نحوٍ مختلف فعوضاً عن انقسام الكروموسومات وتضاعفها قبل الانقسام يذهب فرد من كل زوج منها إلى كل خلية جديدة، وهكذا يكون في كل خلية نصف الكروموسومات أي ٢٣ بدلا من ٤٦ فالبيضة تحصل على نصف كروموسومات الأم والنطفة (الحيوان المنوي) تحصل على نصف كرموسومات الأب ثم يأتي الالقاح فيكمل عدد الكروموسومات.

فاخر عاقل. علم النفس ط ٦ بيروت: دار العلم للملايين. ١٩٧٩ ص ٢٤٦ • سعد جلال. المرجع في علم النفس. القاهرة: دار المعارف. ١٩٦٦ص ٨٨ • عبدالرزاق نوفل. المرجع السابق نفسه ص ١٨٢

Engel,leonard The New Gouetics .Newyork Avon Books 1967 p,34

وأنظر الشكل المرفق عن المرجع الأخير

ينبهنا القرآن الكريم في إعجاز علمي ظاهر إلى حساسية الجلد وتميّزه في الشعور بالألم: « **كُلّما نَضِجَتْ جُلُودُهم بدّلّناهم جُلُوداً غيرها** » ٥٦/ النساء.

وعلم التشريح والطب الحديث أثبتا أن الجلد يتميّز بالألم وأن التخدير الذي يُجرى للإنسان أثناء العمليات الجراحية إنما يُقصد به الجلد، فلو عمدت إلى تقطيع أمعاء إنسان وهو ينظر لما شعر بشيء بينما وخزة دبوس في جلده تؤلمه فقد كشف العلم الحديث أخيراً أن مراكز الإحساس بالألم موجودة في الجلد (١)

ويتبع هذا الموضوع موضوع البصمات:

« **أَيَحَسَبُ الإنسانُ أن لن نَجمَع عِظَامَهُ بلى قادرين على أنْ نُسويّ بَنَانَهُ** » ٣،٤/ القيامة فعدا عن كون جلد الانسان يختلف عن جلد أي إنسان آخر، فإن في بصمات يديه من التركيب الدقيق المعجز والرقيق الأخاذ ما يُدهش ويثير. فالثابت علمياً أنه من بين الملايين من الأفراد تأخذ بصمات بنان كل شخص طابعاً خاصاً وشكلاً مميزاً تختلف عمّا عداها على الاطلاق. وهذه الكشوف العلمية لم تحدث إلا في العقود الأخيرة فقط

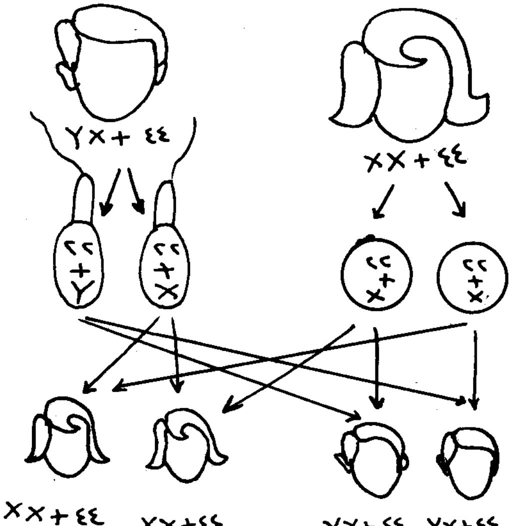

تحديد الجنس في الرجل

The New Genetics . عن ص ٣٥

---

(١) محمد متولي شعراوي. المرجع السابق نفسه. ص ٣٥.

٣ ـ الكَون

« والأرض بعد ذلك دحاها » ٣٠/ النازعات.

إن إثبات كروية الأرض في القرآن الكريم لا يرقى إليه شك ويكفي في ذلك فهم معنى الدحية في الآية (دحاها) وهي البيضة، وإن شكل الأرض بالتحديد هو الشكل البيضوي فهي ككرة مفلطحة من جانبيها (قطبيها).

ودحا من الدحو وأصل معناه قذف الشيء من مقره مع مدّه وبسطه (والطحو « والأرض وما طحاها »)٦/ الشمس. هو بمعنى الدحو) فيصير المعنى كاملاً أن **الأرض** فصلت عن مقر لها (النجم الأم الذي فتُقت منه) وقذفت في الفضاء ثم مُدّت وبُسطت. وسنجد أن الدحو (دحاها) هي الكلمة الوحيدة التي تعني التكوير والبسط مع حركة قذف الشيء من مقره. [١]

ولمزيد من إثبات كروية الأرض في القرآن لننظر في هذه الآيات: « خلق السماوات والأرض بالحق يكوّر الليل على النهار ويكور النهار على الليل.. » ٥/ الزمر. ولفظ التكوير يصف انزلاق الليل والنهار وكأنهما نصفا كرة تماماً [٢] ولف الشيء حول كرة هو التكوير، أو صنع الشيء على شكل كرة، ومعنى الآية أنه عز وجل جعل الليل والنهار يحيطان بالكرة الأرضية فهما مكوران حولها في كل وقت [٣].

« **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل**... » ١٣/ فاطر، ٦/ الحديد.

وهذا يفيد أن الأرض في **حركة**، والايلاج يفيد الحلول بالتداخل شيئاً فشيئاً، ومع التكوير تتم الصورة بكروية الأرض وحركتها معاً. وسنرى في الآيات التالية كما رأينا في آية ٥/ الزمر، وآية ١٣/ فاطر أن ذكر الليل والنهار كأنما هو كناية عن الأرض بكرويتها وحركتها ولا ينفك هذا الذكر (لليل والنهار) عن ذكر الشمس والقمر وحركتها.

---

(١) حنفي أحمد. التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن. دار المعارف بمصر. ط ٢٠. ١٩٦٠ صفحة ٢١٧.
(٢) مصطفى محمود. حوار مع صديقي الملحد. دار المتوسط للنشر والتوزيع. بيروت. صفحة ٨٠.
(٣) محمد متولي شعراوي. معجزة القرآن. المرجع السابق نفسه. ص ٤٨.

«وآيةٌ لهم الليلُ نسلخُ منه النّهار فإذا هم مظلمون. والشمسُ تجري لِمُستَقَرٍّ لها ذلك تقديرُ العزيز العليم. والقمرَ قدّرناهُ منازلَ حتى عادَ كالعُرْجُونِ القديم، لا الشمسُ ينبغي لها أن تدرِكَ القَمَرَ ولا الليلُ سابقُ النَهَارِ وكلٌّ في فلكٍ يسبحون.» ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠/ يَسن.

وفي هذه الآيات حقائق منها أن الليل هو الأساس. وأن الشمس والقمر والأرض (مُعبّراً عنها بالليل والنهار) كلها تسير في سرعة. وأن الليل والنهار بدءا معاً وينتهيان معاً (كروية الأرض) وأن الشمسَ والقَمَر والأرض تسير في أفلاك مُحدَّدة.

أما أن الليل هو الأساس فالآية تجعله الأساس الذي ينسلخ منه النهار فيعود الظلام حيث يعتبر العلم الحديث أن الكون غارقٌ في ظلامٍ دامس، وإذا ما لاقت أشعة الشمس المظّلة الأرضية من الهواء تشتتّت أشعتها وانتشرت. فالفضاء الكوني مظلم أصلاً وضوء النهار يأتي بسبب اعتراض الغلاف الجوي الأرضي لأشعة الشمس. وهذا ما عبرت عنه الآية ٣٧ من سورة يس المذكورة آنفاً بعودة الظلام عندما يُسلخ النهار من الليل ليُسيطر على الكون. ثم لننظر صريح الآية «يُغْشِي اللَّيْلَ النّهارَ يَطْلُبُهُ حثَيثاً» ٥٤/ الأعراف فالآية تُدلّل على كروية الأرض مُجّدداً لأنه لو كانت الشمس والأرض ثابتتين لكان قسم من الأرض نهاراً دائماً والآخر ليلاً دائماً ولما كان الطلب الحثيث الذي تصرح به الآية. كما تدل الآية على حركة الأرض. فإذا نحن فرضنا أن الشمس تدور والأرض ثابتة فإن ذلك يعني أن المنبع والمصدر الضوئي هو المتحرك أي أن النهار هو السائر المتحرك والليل تابع. وعكس هذا في حالة دوران الأرض فالمنبع الضوئي ثابت (نسبياً) وفي حالة ثباته يكون الليل هو السائر المتحرك وحركة النهار تابعة وهذا ما صرحت به الآية تماماً فالليل هو الذي يطلب النهار وهذا لا يكون إلا إذا كانت الأرض هي التي تدور حول نفسها! وقد تأيد هذا في اللغة حيث إنه إذا عمل الفعل بمفعولين فالأول منهما يكون فاعلاً في المعنى والثاني مفعولاً وبالآية عمل فعل بمفعولين فالفاعل في المعنى يكون هو المقدم حيث لا يصح تقديم ما هو مفعول بالمعنى على ما هو فاعل بالمعنى وإذ قال الله عز وجل («يُغْشي الليلَ النهارَ») دلَّ على أن الليل هو الفاعل في النهار في المعنى وفي قوله تعالى «يطْلُبهُ حثيثاً» (١)

(١) سعيد حوى. الرسول صلى الله عليه وسلم. صفحة ٤٧.

وإذا رجعنا لآيات سورة يس مجدداً سنجد أن الشمس تجري لمستقرٍ لها كما هو ظاهر لنا على الأرض لأن الأرض هي المتحركة ولكن هذا لا يمنع من حركة الشمس التي يؤكدها القرآن في غير موضع «**الشمس والقمر بحسبان**» ٥/ الرحمن. أي يجريان بحساب مقدر دقيق. كما لا يمنع أن المجموعة الشمسية برمتها تجري لمستقر لها بما فيها الأرض وقمرها الذي قدر منازل حتى عاد كالعرجون القديم، ومن عجب أن التشبيه بالعرجون وهو عذق النخل الذي يحمل البلح بعد أن أكل ثمره فهو جاف لاماء فيه ولا خضرة ولا حياة، هو تشبيه دقيق صادق من كافة نواحيه فكما قلنا أن المجموعة الشمسية برمتها تجري وكل في فلكه الخاص به والجميع يجري جرياناً مع الشمس لمستقر لها، وهنا لا نقف على أبلغ أو أدق مما يقوله حجة الفلك العالم (سيمون) (١) من أن أعظم الحقائق التي اكتشفها العقل البشري في كافة العصور هي حقيقة أن الشمس وكواكبها السيارة وأقمارها تجري في الفضاء نحو برج النسر بسرعة غير معهودة لنا على الأرض يكفي لتصويرها أننا لو سرنا بسرعة مليون ميل يومياً فلن تصل مجموعتنا الشمسية إلى هذا البرج إلا بعد مليون ونصف مليون سنة بحسابنا الحاضر.

وفي هذه الآية من سورة يس سنجد أن السبح لغة وفي استعمال القرآن الكريم هو الانتقال السريع للجسم والمصحوب بحركة ذاتيه فيه وقد استعمله القرآن للدلالة على حركة الأجرام في أفلاكها **(وكل في فلك يسبحون)** ٤٠/ يس.

وأما الجري لغة فهو الانتقال السريع للجسم والمصحوب أو غير المصحوب بحركة ذاتية فيه وهو بالحالة الاولى كالسبح في المعنى وفي الحالة الثانية فالجري يختلف عن السبح في أنه غير مصحوب بحركة ذاتية في الجسم الجاري وقد استعمل القرآن الجري بالمعنى الأخير فحسب ففرق بذلك بينه وبين السبح فذكر جري الريح، والماء في الأنهار، والسفن الشراعية في الماء إذ كل منها ينتقل (بالدفع او السحب) دون حدوث حركة ذاتيه فيه. وفي الآية المذكورة الشمس والقمر كل منهما يجري في الفضاء لأجل مسمى، وكل منهما يسبح في فلك خاص. وقد أفاد العلم الحديث بصدق ذلك كله.

ولو رجعنا لآيات سورة يس مرة أخرى سنجد كذلك التأكيد على كروية الأرض في التعبير عن ابتداء الليل والنهار معاً وفي وقت واحد منذ بدء الخليقة

---

(١) سعيد حوى. المرجع نفسه.

كنصفي كرة (**ولا الليل سابق النهار**) ولو كانت الأرض مسطحة لتعاقب الليل والنهار الواحد بعد الآخر بالضرورة ولكان أحدهما أسبق من الآخر. وسوف نجد تأكيد هذا القول في كلام الله عز وجل عن القيامة حيث تأتي القيامة والأرض في ليل ونهار معاً في وقت واحد كما كانت يوم البدء: (**حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً..**) ٢٤/يونس، وقوله تعالى ليلاً أو نهاراً لا تفسير له سوى أن نصف الأرض محجوب عن الشمس ومظلم والآخر مواجه لها ومضيء. ولو كانت الأرض مسطحة لكان لها في كل وقت وجه واحد ولما صح القول: (**ولا الليل سابق النهار**) وآية يونس الآنفة تقول بأنه إذا قامت القيامة وأتى أمر الله فإن ذلك سيتم ليلاً بالنسبة لنصف الكرة الأرضية ونهاراً بالنسبة لنصفها الآخر، وهذا أيضاً دليل كرويتها ودورانها حول نفسها وحول الشمس.

وإذا نظرنا في هذه الآية سنجد ما يؤكد حركة الأرض أيضاً: ـ

(**وترى الجبال تحسبُهَا جامدةً وهي تمرُ مرَّ السحابِ صُنعَ اللهِ الذي أتقنَ كُلَّ شيءٍ إنه خبيرٌ بما تفعلون**) ٨٨/ النمل. فالجبال أبرز ما على الأرض وضرب الله المثل بحركة الأرض مرور الجبال وهذا ليس ـ كما قد يفهم البعض ـ في يوم القيامة وإلا لما قال تعالى (**صُنعَ الله الذي أتقن كل شيء**) فهو يلفت الانتباه ويأمر بالتفكر في هذا الصنع الدقيق المتقن المحكم، ولأنه في يوم القيامة: (**ويسألونك عن الجبال فقُل ينسفها ربي نسفاً**) ١٠٥ / طه. (**وبست الجبال بَسّاً فكانت هباءً منبثاً**) ٥، ٦/**الواقعة** وأما في آية ٨٨ النمل فقد تحدثت الآية عن حركة الجبال ومن ثم دوران الأرض. والله عز وجل يبين في الآية أن هذه الجبال الراسخة وهي أوتاد الأرض وتبدو للناظر جامدة ثابته صلبة هي في الحقيقة تمر مر السحاب. وإذا ما تذكرنا حقيقة اختيار اللفظ القرآني والدقة المتناهية في هذا الاختيار ندرك قوله عز وجل (مر السحاب)، فالله عز وجل لم يستخدم هذا اللفظ إلا عن حكمة وقصد، ذلك أن السحاب لا يتحرك من تلقاء نفسه بل تدفعه قوة الريح، فالسحاب لا ينطلق أو يمضي من مكان لآخر بذاته ولكن الريح تحمله وتنقله من مكان لآخر كما بينت الآيات الكثيرة ذلك ـ كما سنتطرق له في مجال الطبيعة الجوية ـ والله عز وجل ينبه البشر لهذه الحقيقة وهي أن الجبال هي الأخرى لا تتحرك أو تمر من تلقاء نفسها، بحركتها الذاتية ولكنها تمر مر السحاب أي تتحرك بحركة الأرض نفسها فهي لا تنتقل من مكانها على سطح الأرض إلى مكان آخر على سطح

الارض، بل إن مكانها ثابت، ولكنها تتحرك بحركة الأرض، فالحق عز وجل استبعد الألفاظ التي تعطي الجبال ذاتية الحركة وأكد على أن الذي يتحرك ذاتياً هو الأرض والجبال تتبع هذه الحركة وهي تمر أمامنا مر السحاب الذي لا يملك ذاتية الحركة.

ومن هنا تأتي دقة التعبير والتصوير لدوران الأرض في القرآن الكريم، فالقرآن أكد حقيقة علمية راسخة فهو يقول إن كل شيء على الأرض يتبع الأرض في حركتها الذاتية بما في ذلك الجبال الشاهقة والرواسي الشامخة.[1]

وقد أضاف بعض المفسرين إضافات مفيدة أخرى في التشبيه بالسحاب فقد قالوا[2]: أنه قد أُتي بالجبال كناية عن الأرض وقد شبهت بالسحاب في سرعة سيرها ومرورها الذي لا يسمع معه (أي السحاب عند مروره) صوت، كما شبهت به في تكوينها الداخلي حيث أثبت العلم الحديث أن المادة مكونة من ذرات مخلخلة مفككة بما فيها الجبال فالتشبيه دقيق وبمنتهى الصدق العلمي.

والاشارة (تحسبها جامدة) أن الجمود مجرد حسبان ووهم وليس حقيقة لأنها تمر مر السحاب، وكذلك هنالك دليل كروية الأرض وحركتها في آن واحد في الآيات:

(رب المشرقين ورب المغربين) ١٧/الرحمن، وقد أورد القرآن عدة آيات يقرر بها أن الله تعالى هو رب المشرق والمغرب ورب المشارق والمغارب. **(فلا أقسم برب المشارق والمغارب..)** ٤٠/المعارج

• • • •

(والسماء ذات البروج) ١/البروج

(تبارك الذي جعل في السماءِ بروجاً..) ٦١/الفرقان

(... وكلٌ في فلكٍ يسبحون) ٤٠/ يس.

القرآن يصرح بأن السماء ذات مسالك وبروج وطرق ثابتة محددة للكواكب بحيث لا تحيد عنها أو تبطىء (..بحسبان) ٥/الرحمن، بل في حساب دقيق ثابت. وهذا ما يعتبره علم الفلك الحديث مسلمات لا مجال لمناقشتها أو الشك فيها.

(والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ) ٧/الذاريات

وهذه الآية الكريمة تصرح كذلك بأن السماء ذات طرق محكمة النسج وانظر

---

(١) محمد متولي شعراوي. معجزة القرآن. المرجع السابق نفسه. ص ٥١.
(٢) حنفي أحمد. المرجع السابق نفسه.

إلى التصوير البديع فالنسيج المحبوك بإتقان يكون متداخلاً متشابكاً ولكن بجمال وتنظيم فالدلالة أن السماء ليست فقط ذات مسالك وطرق وأفلاك بل كذلك أنها كثيرة متداخلة ومتشابكة في تنظيم وإحكام وجمال. وكما أن الحبك جمع حبيكة أي المحبوكة: المتقنة النسج فانها كذلك جمع حبيكة: وهي الطريق التي تخلفها الرياح الهادئة في الرمال أو المياه. ومن كليهما كانت السماء ذات الطرق أو ما تخلفه السيارات فيها من آثار في الغاز الكوني[1] والقَسَم بالسماء ذات الحبك إشارة إلى أنها ليست مجالاً حراً للسبح بل بطرق محددة ، فهو ليس مجرد مسير عبثي فوضوي بل هو سبح محدد لغاية معينة (وكل في فلك يسبحون) وكل ذلك يجري لأجل مسمى ولحدود معينة ثابتة فلكل نجم بداية ونهاية، فالشمس قدر لها ميلاد ومقدر لها موت فهي تجري لمستقر لها ولأجل مسمى وتسبح في فلك خاص لأمر وغاية أرادها الله ثم إنها تسير في طريق محدد مرسوم وليس سبحاً عشوائياً عبثياً.

• • •

(ألم ترَ إلى ربِّكَ كيفَ مدَّ الظلَّ ولو شاءَ لجعَلهُ سَاكِناً ثُمَّ جعَلنا الشمس عليهِ دليلاً) ٤٥ / الفرقان.

تتغير مقادير الإشعاع الشمسي - (٩٪ فوق بنفسجية + ٤٥٪ ضوء ء أشعة مرئية (وهي التي تحدد الشمس بسراج منير لينير جو الأرض) + ٣٦٪ تحت الحمراء) - التي تصل إلى بقعة ما على الكرة الأرضية بسبب عوامل منها: **(١)** زاوية ميل أشعة الشمس فيكون كبيراً كلما تعامدت الأشعة على السطح. **(٢)** المسافة بين الشمس وهذه البقعة فتكبر كثافة الاشعاع كلما قلت المسافة. إلا أن تأثير العامل الأول أعظم من الثاني. وإن أكثر الأشعة تصل إلى خط الاستواء وأقلها للقطبين. هذا وإن الأرض تميل بمحورها ٢٣,٥ درجة أي أن مستوى خط الاستواء يميل بهذا المقدار مع مستوى فلك الأرض حول الشمس. ولولا دوران الأرض وسبحها على هذا النحو لصار كل ظل ساكناً بسكون الشمس الظاهري. هذا ما أثبته العلم الحديث وما جاء في الآية بمنتهى الدقة والاحكام.

(ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً) ٤٦/الفرقان

في وسط الجو - وهو تراكب طبقات متتابعة تقل فيما بينها كثافة الهواء.

---

(١) حنفي أحمد. المرجع السابق نفسه.

ابتداء من الأرض - يجب أن يكون في وسط كهذا مسلك الشعاع الضوئي منحنياً طبقاً لقانون الانكسار الذي يقول بأن الشعاع الضوئي الذي ينتشر في مجال ذي كثافة متغيرة باستمرار يخط في مسيره خطاً منحنياً ذا تجويف متجه نحو النقط الأكثر كثافة وفي هذا المجال يقبض الظل (قبضاً يسيراً) بالنسبة لما قد يكون عليه في الفراغ الذي لا يوجد فيه انكسار.

• • •

والسماءَ بنيناَهَا بِأيدٍ وَإنّا لَموُسِعُون) ٤٧/الذاريات.

يقول العالم بليفن في كتابه (العلم ينظر إلى السماء) :(إن الأجزاء النائية من الكون - وهو أرحب وأعظم مما كنا نتخيله - تندفع في الفضاء بعيداً بسرعة مخيفة). وإن آينشتين قال بتمدد الكون في نظريته النسبية. وقد لاحظ علماء الفلك حركات منتظمة للسدم الخارجية فهي تتباعد عن مجموعتنا الشمسية وعن بعضها البعض. فالكون يتمدد كالبالون سعة. وقد قال الدكتور هابل بأن نزعة واحدة تسود المجموعات النجمية البعيدة وهي: أنها أميل إلى الإدبار عنا منها إلى الإقبال علينا وأن سرعة الإدبار تزيد بازدياد أبعاد هذه الجزر الكونية من النجوم.[١]

إن الحقيقة العلمية التي يجمع العلماء عليها اليوم هي أن كل جسم في السماء هو جسم متحرك، فالقمر يتحرك حول الأرض، والأرض والكواكب الأخرى تتحرك حول الشمس، والشمس وكواكبها تتحرك (تدور) حول مركز المجرة، وكل مجرة في الكون تتحرك، والمجرات تتباعد الواحدة عَن الأخرى بسرعة هائلة، فالكون آخذ في التمدد بسرعة. ويمكن تمثيل ذلك ببالون تضع عليه نقطاً من الحبر، ثم تنفخه بالتدريج وأثناء النفخ ستلاحظ أن كل نقطة تتباعد عن النقطة الأخرى الميحطة بها ومن كل نقطة يظهر أن باقي النقط تتباعد عنها كذلك، والأمر نفسه ينطبق على المجرات في السماء، فنحن من مجرتنا نرى باقي المجرات تتباعد عنا، ولو أننا وجدنا في أية مجرة أخرى لشاهدنا الظاهرة نفسها. وكلما بعدت إحدى المجرات عنا زادت سرعة ابتعادها منا. ويؤكد ذلك كله ما دلت عليه مؤخراً البحوث الدقيقة من التحليل الطيفي للمجرات الخارجية، ذلك أن المجرات البعيدة جداً منها تظهر - فوق دورانها حول نفسها - أنها تتباعد عنا كما يتباعد بعضها عن بعض

---

(١) مجلة الأقصى (مجلة القوات المسلحة الاردنية) - العدد ٤٦٤ صفحة ١٣ تاريخ ١٩٧٩/٢/٢١. عمان. الاردن.

باستمرار وبسرعات عظيمة جداً تقدر بآلاف الأميال في الثانية الواحدة [1]، فاستدل بحركاتها على أن الفضاء بين المجرات يمتد ويتسع باستمرار، وأن حجم الفضاء الكوني الآن يبلغ نحو عشرة أمثال حجمه منذ أن بدأ في التمدد، [2]، [3]

ولو رجعنا للآية الكريمة **«والسماءَ بنيناها بأيدٍ وإنّا لَموسِعُون» ٤٧ / الذاريات. لوجدنا في اللفظ المستعمل بالآية الكريمة (موسع) إسم الفاعل، وهو يفيد بهذه الصيغة الاستمرارية، وأن الآية الكريمة تقول لنا أنّ السماء خلقها الله وهي واسعة غاية الاتساع وأنه عز وجل عمل على ترتيب قوانين فيها تجعلها تمتد وتتسع زيادة على ما هي عليه من سعة.**

***

«فلا أُقسمُ بمواقع النُّجومِ. وإنَّهُ لَقَسَمٌ لو تعلمُون عظيم» ٧٤، ٧٥ / الواقعة.

يقول الفلكي سيمون بتوك: «لو أننا أردنا وضع نموذج صغير جداً للكون نجعل فيه الأرض بحجم حبة الخردل فإن القمر سيكون ذرة بحجم ربع حبة الخردل وعلى مسافة بوصة واحدة ستكون الشمس بحجم التفاحة وبقية الكواكب السيارة ستتباعد وتقترب من حجم الذرة إلى أكبر من ذلك ومسافاتها عن الشمس تختلف بين عشرة أقدام إلى ربع ميل. هذه المجموعة الشمسية على نموذج نصف ميل وبعدها لا بد أن تقطع فضاءً - على هذه النسبة نفسها - مساحته أعرض من قارة أمريكا حتى تستطيع أن ترى جرماً سماوياً.» وهكذا تبتعد النجوم بعضها عن بعض بحيث أن نموذجاً مساحته مساحة الكرة الأرضية لا يتسع لأكثر من ثلاثة نجوم على فرض أن حجم الكرة الأرضية فيه بحجم حبة الخردل. فما بالنا بالمساحة التي عليها أن تكفي وتحتوي على مائة مليون نجم مثلاً؟ هذا في سمائنا، غير ما في السماوات الأخرى! وقد أثبتت الأبحاث الأخيرة أن حجم الكون آخذ في الزيادة والاتساع شيئاً فشيئاً وكلما ازداد حجم الكون ازدادت المسافة بين أجرامه. لقد أعلن الدكتور بادن مدير مرصد بالومار في عام ١٩٥٦ أنه اكتشف مجموعة من مجموعات الكواكب تبعد عن الأرض نحو: (٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل) وهي تساوي المسافة التي يقطعها الضوء في ألف مليون سنة.

---

(١) بلغ تباعد أقصى المجرات التي رآها تلسكوب جبل ولسن ٢٥٠٠٠ ميلاً في الثانية (أي ١٤و. سرعة الضوء)، ورأى تلسكوب جبل بالومار مجرات تتباعد بسرعة ٤٠٠٠٠ ميلاً في الثانية (أي اكثر من ٢٠و٠ سرعة الضوء).

(٢) حنفي أحمد. المرجع السابق نفسه. ص ٣٠٩

(٣) د. عبد الرحيم بدر. الكون الأحدب: قصة النظرية النسبية. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٢. ص ٢٦٢.

«والسماء ذات الرجع» ١١ / الطارق

يُفسّر الرجع بالمطر الذي يعود ويرجع. أو ليس هو بخار الماء المتصاعد من الأرض والعائد ماءً إليها؟ فالسماء تُرجع كل ما يرتفع فيها إلى الأرض بفعل جاذبية الأخيرة وبفعل خواص الغلاف الجوي نفسه الذي يحيط بالأرض: فكل ما يصطدم بهذا الغلاف يعود ويرجع للأرض، فالسماء تُرجع بخار الماء مطراً وترجع الأجسام المرتفعة فيها، كما ترجع الأمواج اللاسلكية بانعكاسها عن طبقة الأيونو سفير، كما ترجع الأشعة الحرارية تحت الحمراء معكوسة إلى الأرض بالطريقة نفسها فتدفئها ليلاً. وكما تعكس وتُرجع السماء ما ينقذف إليها من الأرض كذلك فانها تمتص وتعكس وتُشتت ما ينقذف إليها من الكون والعالم الخارجي من إشعاعات وهي بذلك تحمي الأرض من قذائف الأشعة الكونية المميتة ومن الأشعة فوق البنفسجية القاتلة. فهي كذلك كما وصفها الحق عز وجل:

«وجعلنا السماء سقفاً محفُوظاً ...» ٣٢ / الأنبياء

وقد توصل ايرنست لورنس وهو عالم ذري في جامعة كاليفورنيا إلى اكتشاف البروتون السالب والذي بتسليطه على الذرة يُفني البروتون الموجب مما يُطلق معه ٩٩٠ في الألف من طاقة الذرة. وقد أُعلن علمياً أن هذا البروتون السالب منطلق في الفضاء وحول الكرة الأرضية ويُفني جميع أنواع المادة التي يصطدم بها. فهو يحيط بالأرض ويحفظها. (١).

***

«أفلم ينظرُوا إلى السماءِ فوقَهُم كيفَ بنيناها وزيّناها وما لها من فروج؟ ٦/ق

يحيط بالكرة الأرضية غلاف جوي يبلغ سمكه ١٠٠ ميل يتكون من الأكسجين والآزوت وثاني أكسيد الكربون وبخار ماء وآزون وغازات أخرى ممتزجة بنسب ثابتة وأي تغيير في هذه النسب يسبب فقدان الحياة والأحياء. والضغط الجوي الثابت النسبة (١٤,٧ رطل على البوصة المربعة عند سطح البحر) هو الذي يدفع الأكسجين خلال أغشية الرئة ثم في الدورة الدموية ليتوزع على أجزاء الجسم المختلفة، وأي تغيير طفيف في نسبة هذا الضغط يُسبب الموت، فالطيار إذا تجاوز ارتفاع ١٥ ألف قدم تعرض لانسداد الشرايين الهوائي ثم يموت إذا تجاوز ارتفاع ٢٥

(١) عبد الرزاق نوفل. المرجع السابق.

ألف قدم. فالكرة الأرضية كما رأيناهنا وفي الفقرة السابقة محاطة بغلاف متماسك فالمظلة الأرضية مالها من فروج وقد «رفع سمكها فسوّاها» ٢٨ النازعات. وعند الايذان بخراب الأرض والسماء فان الذي سيحدث وصفته الآيات الكريمة على هذا النحو:

«إذا السماء انفطرت» ١/ الانفطار

«إذا السماء انشقت» ١/ الانشقاق

«فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان.». ٣٧/ الرحمن.

فهي الآن ليست على هيئة انفطار أو انشقاق بل ما لها من فروج وتُشكّل سقفاً محفوظاً.

* * * * *

«وجعلنا سراجاً وهّاجاً» ١٣ النبأ.

«وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً» ١٦ / نوح.

«تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجَعَل فيها سراجاً وقمراً منيراً» ٦١ الفرقان.

«هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً» ٥/ يونس.

لم يعد ثمة شك في أن هذا التباين والفصل وتحديد الصفة ثم تحديد الوظيفة ليس فصلاً تعسفياً بل هو الدقّة النافذة في الوصف وتحديد الوظيفة وهو مقصود وأننا نجده يتردد في غير آية واصفاً الشمس بالسراج الذي يُعطي الضوء من ذاته وواصفاً القمر بأنه كالمرآة التي تعكس الضوء الساقط على سطحها نوراً يُبدّد به الظلام. وإذا نظرنا إلى الآية الأولى التي تصف الشمس بالسراج الوهّاج نجد سر ودقة وعظمة هذا الوصف إذا ما تعرفنا على آخر ما حققه العلم وأقره بصدد الشمس: - فهو يخبرنا أن الشمس لها حرارة سطح تبلغ ٦ آلاف درجة مئوية وحرارة جوف تصل إلى ٢٠ مليون درجة مئوية، كما أن ألسنة اللهب ترتفع عن سطحها إلى نصف مليون كيلو متر ناثرة في الفضاء طاقة تساوي ١٦٧,٤٠٠ حصان من كل متر مربع لا يصل منها للأرض سوى جزءمن ٢ مليون جزء. فهي حقاً سراج وهّاج.[1].

كما أن القرآن يستخدم لفظ الضياء أو أحد مشتقاته فقط للدلالة على الضوء الحسي الذاتي ويطلقه مجازاً على الرسالة المنزلة على الرسل قبل التبليغ، ويستخدم

(١) الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني. النجوم في مسالكها. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهره. ١٩٦٢. صفحة ٣٩، ٤٠. وفيه: تقفز بعض نتوءات الشمس الى علو ٥٦٧,٠٠٠ ميل فوق سطح الشمس.

لفظ النور فقط للدلالة على الضوء الحسي المكتسب والمنعكس من سطوح الأجسام المظلمة بذاتها ويطلقه مجازاً على الرسالة المنزلة على الرسل بعد تبليغها إلى الناس. فالقرآن يشبه الرسالة قبل تبليغها بالضوء الذاتي قبل وقوعه على الاجسام المظلمة وانعكاسه منها ويشبه الرسالة بعد تبليغها بالضوء المنعكس عن الاجسام المظلمة بعد وقوعه عليها. وقد جعل تعالى النور هو الضد والمقابل للظلمات وانظر الآية «**وما يستوي الأعمى والبصير. ولا الظلمات ولا النور**» ١٩، ٢٠ / فاطر، لأن الضوء المنعكس على الأجسام المظلمة هو الذي يُبدّد ظلماتها دون الضوء الذي لا يقع عليها ولا ينعكس عنها ولو كان قريباً منها. (١).

وكل ما ذكر حول الشمس والقمر والآيات التي حددت الأولى بالسراج الوهّاج الذي يُعطي ويُولد الضوء من ذاته، ثم تلك التي حددت القمر بالنور باعتباره جسماً مظلماً يقع عليه ضوء السراج الوهاج فينعكس عنه نوراً: كل هذا أكده العلم كبدهيات معروفة وسلّم بها.

● ● ●

«**أوَلَمْ يرَ الذينَ كفروا أن السموات والأرض كانتا رَتْقاً ففتقناهما وجعلنا من الماءِ كلَّ شيءٍ حيّ أفلا يؤمنون.**» ٣٠ / الانبياء.

«... ثمّ استوى إلى السماءِ وهي دخانٌ فقالَ لها وللأرضِ ائتيا طَوعاً أوْ كَرْهاً قالتا أتينا طائعين.» ١١ / فصلت.

القرآن يقرر أن السماء قبل الخلق كانت مثل الدخان الذي من صفاته تفكك أجزائه وأنه مظلم وخفيف منتشر في الفضاء وساخن إلى حد ما. ويأتي العلم الحديث ليقرر أن العالم المادي نشأ من غازٍ كوني أول وهو مظلم شديد التخلخل والتفكك وساخن إلى حد ما ويملأ الفضاء الكوني ومكوناً من دقائق أنواع المواد المختلفة. فالعلم يعتبر الغاز الكوني الأول هو المادة الأولى التي نشأت عنها السموات بمجراتها ونجومها وكواكبها وكذلك جاء القرآن من قبل ليقول أن السماء كانت في البدء دخاناً كما في آية ١١ من فُصلت ثم في آية ١٢ من فصلت يقول فوراً: «**فقضاهُنّ سبع سموات في يومين وأوحى في كل** سماء أمرها **وزيّنا السماء الدنيا بمصابيح ذلك تقدير العزيز العليم**» ١٢ / فصلت، وقد صرح عز وجل في آية أخرى أن هذه المصابيح هي الكواكب. فالعلم الحديث يلتقي تماماً ويتفق وما جاء به القرآن حيث

---

(١) حنفي أحمد. المرجع السابق نفسه صفحة ١٤٥.

العلم يقول بأن هذه المادة الأولى (الغاز الكوني) تجزّأ إلى كتل عُظمى بأقدار المجرات وتجمع كل منها على بعضه البعض ثم تجزّأت فتقاً إلى كتل نجمية وجعل تكوينها محكماً خالياً من التفاوت « .. **الذي خلق سبعَ سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت..** » ٣ / الملك.

وهنا نجد أن العلم إذ يقول بخلق النجوم من الغاز الأول بحادث تجميع أجزائها (رتق) ثم بحادث تجزيء أو تفريق (فتق) ويقول بخلق الأرض والكواكب من النجوم ثم بخلق الأقمار من الكواكب (١) إنما يُتفق وما جاء بالقرآن الكريم تماماً ويؤيد العلم نظرته هذه: (من أن الأرض والشمس والكواكب كانت سديماً ثم انفصلت الأرض عن الشمس وبقيت ملازمة له « **كانتا رتقاً ففتقناهما** »)**بارتفاع درجة حرارة باطن الأرض، والبراكين التي تخرج بها الغازات المتلهبة من جوف الأرض في مناطق القشرة الضعيفة، كما أيد هذا التحليل الطيفي لأشعة الشمس حيث ثبت أن الشمس تتكون من عناصر الأرض نفسها بل إنه اكتشف عناصر في الشمس - عن طريق التحليل الطيفي - قبل اكتشاف وجودها في الأرض. فالأرض انفصلت عن الشمس على هيئة غاز وبدورانه وابتعاده بدأ يبرد حتى تجمد السطح الخارجي وبدأ بالسماكة، وكانت الأبخرة المتصاعدة تعود لتهطل عليها مما جعل فيها البحار والانهار والمحيطات:** «**والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها. والجبال أرساها.**» ٣٠، ٣١، ٣٢ / النازعات. (٢).

وفي آية ٣٠ / الأنبياء يقول عز وجل: « **وجعلنا من الماء كل شيءٍ حيّ** ».

أي أن كل شيء حي جعلناه ناشئاً ومتسبباً عن الماء. وقد اتضح أن الماء يكوّن من ٨٠ - ٩٠٪ من وزن الكائنات الحية المختلفة. كما نجد العلم الحديث يقرر أن جميع المواد الغذائية اللازمة للأحياء على اختلاف أنواعها ناتجة أصلاً من النبات، وقد تكوّنت هذه المواد الغذائية في النبات من اتحاد كيماوي حيوي بين الماء وثاني أكسيد الكربون. والماء يتكون من ذرتي هيدروجين وذرة أكسجين وأما ثاني أكسيد الكربون فيتكون من ذرة كربون وذرتين أكسجين ولمّا كان أول نواتج المواد الغذائية في النبات وهي السكريات أساسها الأكسجين فقد اختلف على مصدره كثير من العلماء هل أصله أكسجين من الماء أم أكسجين من ثاني أكسيد الكربون؟ وللعجب فإن آخر وأدق الأبحاث التي تمتْ بالاستعانة بالعناصر المشعة قد دلتْ على

(١) حنفي أحمد. المرجع السابق نفسه. صفحة ٢٣٤.
(٢) عبد الرزاق نوفل. المرجع السابق نفسه. صفحات ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧.

أن الأكسجين الذي يدخل في تكوين اللبنة الأولى من المواد الغذائية وما يترتب عليها من المواد الأخرى التي يتغذى عليها الكائن الحي فتُسبب حياته إنما مصدره الماء وحده على الرغم من أن الأكسجين الموجود في ثاني أكسيد الكربون ضعف الموجود في الماء (١). « .. **أنزل من السماء ماءً لكم منه شرابٌ ومنه شجرٌ فيه تسيمون** » ١٠ النحل.

ثبت إذن أن معظم العمليات الكيماوية اللازمة للحياة والنمو تحتاج إلى الماء فهو العنصر الأساسي لاستمرار الحياة لجميع الكائنات والنباتات.

من ناحية أخرى نجد أن الماء يغطي ثلاثة أرباع سطح الأرض وله درجة ذوبان مرتفعة فيبقى سائلاً فترة طويلة من الزمن كما أن له حرارة تصعيد بالغة الارتفاع وهو بذلك يساعد على بقاء درجة الحرارة فوق سطح الأرض عند معدّل ثابت ويصونها من التقلبات العنيفة ولولا ذلك كله لتضاءلت صلاحية الأرض للحياة إلى حدّ كبير.

وهذا ما سنتطرق إلى ما له علاقة به في الإشارات العلمية المتفرقة.

* * *

« **والسماء والطارق. وما أدراك ما الطارق. النجم الثاقب.** » ١، ٢، ٣ / الطارق

يصف الله عز وجل النجم بأنّه ثاقب وفي آيات أخرى يصف النجم بأنه - « .. **وبالنجم هم يهتدون** » (١٦) النحل، والنجوم: « **لتهتدوا بها في ظلمات البرّ والبحر..** » (١٧) / الأنعام، فهي أجرام نارية مضيئة بذاتها متحركة ليلاً ونهاراً في السماء. (الطارق) ومعنى الطارق والثاقب على التوالي: المتحرك على الدوام والذي ينفذ في أعماق الفضاء. والفضاء الكوني ليس فراغاً خالصاً ولكنه يحتوي غازاً كونياً (الهيدروجين) بصفة عامة مع مواد أخرى تتجمع هنا وهناك، فعندما ينساب النجم فإنه يثقب هذا الغاز مخلفاً وراءه ما يشبه النفق (٢)، وقد أيد العلم ذلك كله فقال بأن النجوم هي أجرام سماوية غازية شديدة السخونة أي أنها لهب في درجات حرارة عالية وأنها متحركة فعلاً (٣).

● ● ●

« وهو الذي مدَّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً.. » ٣ - الرعد

« والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي.. » ١٩ - الحجر.

---

(١) عبد الرزاق نوفل. المرجع السابق نفسه. صفحة ١٩٤.

(٢) محمد جمال الدين الفندي. القرآن والعلم. دار المعرفة. القاهره ط ١. ١٩٦٨. صفحة ٣٣٠.

(٣) حنفي أحمد. المرجع السابق نفسه. صفحة ١٦٢.

«ألم نجعل الأرض مهاداً. والجبال أوتاداً.» ٦، ٧ ـ النبأ
«وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها..» ١٠ ـ فصلت
«والجبال أرساها» ٣٢ ـ النازعات
«وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم..» ١٥، النحل.
«وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم..» ٣١، الأنبياء.

المد يعني استمرار بسط الأرض بلا حافة وهذا اكبر برهان على كروية الأرض[١].

إن في الآيات التي تتعرض للجبال لأعظم دليل على الدقة في الوصف حيث إن أحدث ما توصل إليه العلم وآخر ما انتهت اليه الجيولوجيا في موضوع الجبال لا يعدو عن كونه تفسيراً بل ترداداً وتكراراً لما جاء به القرآن. فها هي آخر ما توصلت إليه النظريات الجيولوجية تقول لنا أن للجبال جذوراً وتدية في الأرض يعدل امتدادها ضعفي ارتفاع الجبل عن الأرض. فهي أوتاد. وهذه الأوتاد تعمل على تثبيت القشرة حتى لا تميد بنا. فالعلم الحديث أثبت أن الأرض قشرة تُمسك جوفها المشتعل وهذه القشرة لن تمسك شيئاً لولا ثباتها وتماسكها الذي لا يتأتّى إلاّ بالجبال التي تفعل فعل الأوتاد والمسامير، وتحافظ على توازن القشرة الأرضية التي هي بدورها ميزانٌ دقيق وحساس ومُركبّ. فكل مكان فيه عبارة عن كفّة متوازنة تماماً مع مكان آخر، والميزان الدقيق تكون فيه كلتا الكفتين متوازنتين تماماً، وهما كذلك ما دامت الأثقال التي على إحداهما مساوية للتي على الأخرى حتى إذا ما تغيرّ الثقل الذي على إحدى الكفتين اضطربت وتأثرت الأخرى المقابلة لها حتماً ويظل هذا الاضطراب قائماً حتى يتساوى ثقل الكفتين مرة أخرى فيعود التوازن سيرته الأولى [٢].

ولكن ماذا يحدث إذا انتهى أجل الأرض؟ : ـ

«إذا رجت الأرض رجّاً. وبُسّت الجبال بساً. فكانت هباءً منبثاً» ٤، ٥، ٦ / الواقعة

«ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً» ١٠٥ / طه
«وسُيرت الجبال فكانت سراباً» ٢٠ النبأ.
«وتكون الجبال كالعهن المنفوش» ٥ / القارعة.

---

(١) محمد متولي شعراوي. معجزة القرآن
(٢) محمد جمال الدين الفندي. المرجع السابق نفسه. صفحة ٣٢٢

فبداية خراب الأرض كما نرى يبدأ بالجبال حيث تُستَلُّ هذه الأوتاد وتصبح هباءً وقطناً مندوفاً وتُترك القشرة الأرضية بلا ماسك يمسكها فتميد وتتزعزع من مناطق الضعف أولاً ثم من جميع المناطق. ونحن إذا نظرنا إلى مسار الزلازل والبراكين سنجدها الجبال وأطراف الشواطيء ثم البحار ولذلك يقسم الله عز وجل: «**وإذا البحار سُجرّت**» ٦/ التكوير، وذلك بعد تسيير الجبال مباشرة. وكذلك القسم: «والبحر المسجور» ٦/١ الطور. فما جاء بالقرآن الكريم يصف أدق وصف فعل الجبال ودورها من حيث مسكها لقشرة الأرض حتى لا تميد والعلم الحديث قرّر هذا كما أفاد بأن الجبال تعمل من خلال البراكين والزلازل كثقوب مُنَفِسَةْ لهذه الكرة التي تفور وتغلي بالداخل ولولا الجبال لمادت الأرض ولكانت القشرة الأرضية بحالة تشقق دائم وبالتالي في حالة ميدان واضطراب شديدين.

* *

وربما كان موضوع السنة الشمسية والسنة القمرية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذا الفصل عن الكون. ففي سورة الكهف سنجد الآية الكريمة تُقررّ مايلي: -

«**ولَبِثوا في كهفهم ثلاثَ مِائَةٍ سنينَ وازدادوا تِسْعاً**» ٢٥/ **الكهف سنجد العلم يفيدنا بما يلي**:

السنة الشمسية هي مدّة تنقضي بين مرورين متتاليين للشمس بنقطة اعتدال واحد وهي تساوي ٢٤٢٢١٧، ٣٦٥ يوماً شمسياً.

والسنة القمرية هي مدة تنقضي بين كسوفين متواليين مقسومة على عدد حركات القمر الدائرية وهي تساوي ٣٦٧٠٦٧، ٣٥٤ يوماً.

والفرق بين السنتين يساوي= ٨٧٥١٤٩، ١٠ يوما.

وبالحساب سنجد الثلاث مائة سنة تزداد بالحساب القمري ٩ سنوات بالضبط.

حيث تُحسب الفروق بين السنين الشمسية والقمرية كل ٣٠ سنة هي:

١٩×١١+١١×١٠+ $\frac{١}{٢}$ ٧= ٣٢٦،٥ يوماً.

وعليه فإن الثلاث مائة سنة= ٣٢٦،٥×١٠= ٣٢٦٥ يوماً.

وهذا مايعادل ٩ سنوات كاملات. أي أن الثلاث مائة سنة شمسية تقابلها تماماً ٣٠٩ سنوات قمرية.

وفي المعجم ازداد الشيءُ: زاد، وازداد الشيء كذا: زاده، والمعنى أنهم لبثوا ومكثوا في الكهف نائمين ثلاث مائة سنة إذا حُسبت بالسنين الشمسية. واذا حُسبت بالسنين القمرية زادت تسعاً. (١، ٢).

---

(١) مجمع اللغة العربية. معجم الفاظ القرآن الكريم. ط٢. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. ١٩٧٠

(٢) الشيخ عبدالجليل عيسى. المصحف الميسر. دار الشروق. ط٥. ١٣٩١ هـ (١٩٧١).

٤ - الطبيعة الجوية

«اللهُ الذي يُرسلُ الرِيّاح فتثيرُ سحَاباً فيبسُطُهُ في السماءِ كيفَ يشاءُ ويجعَلُهُ كِسَفاً فترى الوَدْقَ يخرُجُ من خلاله..» ٤٨/ الروم.

«وهو الذي يرسلُ الرياحَ بُشْراً بين يدي رحمتِهِ حتى إذا أقلّتْ سحاباً ثِقالاً سُقناهُ لبلدٍ مَيّتٍ فأنزلنا به الماءَ..» ٥٧/ الأعراف.

«وأرسلنا الرِيّاحَ لواقِحَ فأنزلنا من السماءِ ماءً فأسقيناكمُوهُ وما أنتم له بخازنين». ٢٢/ الحجر.

«ألم تَرَ أنَّ اللهَ يُزجي سحَاباً ثُمَّ يُؤلِّفُ بينَهُ ثُم يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرىَ الوَدْقَ يخرُجُ من خلالِه ويُنزّلُ من السماءِ من جبالٍ فيها من بَرَدٍ فيصُيبُ بهِ من يشاءُ ويصرِفُهُ عن من يشاءُ يكادُ سَنَا بَرْقِهِ يذهَبُ بالأبصار» ٤٣/ النور.

«واللهُ الذي أرسَلَ الرياحَ فتثيرُ سَحَاباً فسقناهُ إلى بلدٍ مَيّتٍ..» ٩/ فاطر.

أول ما تثيره الآيات الكريمة السابقة هو الربط المستمر بين إرسال الرياح وإثارة السحب المطيرة فيجعل تجمع الرياح سبباً أساسياً لإثارة السحب الممطرة (وقد حُسب الهواء الصاعد في انخفاضات قبرص الجوية فوجد ٧٠ ألف كيلو متر مكعب في الساعة الواحدة). وإن هذا الربط الذي تشير له الآيات القرآنية[١] أكدّ في علم الطبيعة الجوية ويعتبر الآن قاعدة راسخة.

وإن علم الطبيعة الجوية يؤكدّ على أن الهواء يحملُ مقادير وفيرة من الماء على هيئة بخار وإن هذا البخار هو الذي يُكوّن السحب ويُعطي المطر عندما تندفع تيارات الهواء إلى أعلى وتبرد تحت تأثير الانتشار بتقليل الضغط الواقع عليها بالارتفاع، وباستمرار التبريد يحدث التشبّع ويتم التكاثف وتتشكّل نقط الماء، ويتم ذلك عادةً على جسيمات خاصة يحملها الهواء تُسمى علمياً باسم (نُوى التكاثف) وأغلبها مساحيق دقيقة تذوب في الماء أو تمتص كملح الطعام وكلورو الكالسيوم وثاني أكسيد الكبريت فتتجمع جزيئات بخار الماء على هذه النوى مكونةً نقطاً دقيقة لا تلبث أن تنمو بالتصادم والالتصاق. إذن فالهواء يحمل كذلك نوى التكاثف اللازمة لتكوين السحب. وبالحقيقة فإن الهواء المشبع بالنسبة لنقط الماء السائل

(١) محمد جمال الدين الفندي. المرجع السابق نفسه. من صفحة ٩٠ - ١٣٢ وقد فصلنا القول في الرياح وغيرها في هذا الفصل على ما جاء به المرجع المذكور كونه متخصصاً (دكتوراة) في علم الطبيعة الجوية والفلك.

يكون في حالة فوق التشبّع بالنسبة لبلورات الثلج التي هي في درجة الحرارة نفسها وبذلك تنشط عمليات التكاثف إذا تواجد ثلجٌ جنباً إلى جنب مع نقط الماء البارد، وفي الطبيعة يمكن أن تتواجد نقط الماء وهي في حالة السيولة تحت درجات حرارة منخفضة جداً قد تصل إلى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر فتُسمى عندئذٍ نقط الماء فوق المبُرّد، وعندما تنمو البلورات الثلجية داخل مناطق نقط الماء فوق المبرد ـ فالسحابة تكون كما ذكرنا في حالة من فوق التشبّع إذا تكوّن الثلج فيها عن طريق تلقيح السحابة بنُوى التكاثف طبيعياً: بالهواء الحامل لنوى التكاثف أو صناعياً: بيودور الفضة إو ثاني أكسيد الكبريت الجاف ـ تزداد سرعات تساقط هذه البلورات الثلجية النامية نسبياً فتتصادم مع غيرها من النقط الصغيرة وتلتحم بها وهكذا تنمو النقط سريعاً وتزداد حجومها فتتساقط على هيئة مطر. وهكذا نجد الآية الكريمة «وأرسلنا الرياح لواقح».. ٢٢/ الحجر. تربط وتُوثّق العلاقة بين تلقيح الرياح للسحاب بنُوى التكاثف وبين نزول المطر.

كما تشير الآية إلى ما أثبتته دراسات الطبيعة الجوية أن الرياح في حالة صعودها المستمر بسبب إرسالها لتتجمع في صعيد واحد إنما تمدُّ السحاب أو تُلقحه ببخار الماء اللازم لنزول المطر (علمياً: كثافة الهواء المُحملّ ببخار الماء أقل من الهواء الجاف الذي هو في درجة الحرارة نفسها وتحت الضغط نفسه.

وفي آية ٢٢ من سورة الحجر نفسها نجد الله عز وجل يقول عن هذا الماء النازل من السماء.. (وما أنتم له بخازنين ٢٢/ الحجر. وهذا إشارة صريحة إلى الدورة العُظمى للماء على الأرض ما بين سطحها وسمائها (غلافها الجوي). فهو لا يُخترن أو يُحبس بل يتجدّد باستمرار. كما ثبت أنّ ما يتبخر من جميع السطوح المائية في الأرض سنوياً يساوي ٣٦٥ مليون كم٢ وهذا يساوي تماماً جميع ما ينزل كمطر من السماء ولكن ما يختلف هو التوزيع من مكان لآخر ومن سنة لأخرى ولكن كميات البخر والسقوط ثابتة وبقدرٍ معلوم ولننظر في هذه الآيات:

«.. وقدّر فيها أقواتها..» ١٠/ فصلت. ومن ضمن أقوات الأرض ماؤها.

«وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما نُنزله إلا بقدرٍ معلوم» ٢١/ الحجر.

«... وكل شيء عنده بمقدار» ٨/ الرعد. فكل شيء له كمية ثابتة معينة.

«... وخلق كل شيءٍ فقدرّه تقديراً» ٢/ الفرقان. أي حدد مقداره تحديداً تاماً.

«إنّا كل شيءٍ خلقناه بقدر» ٤٩/ القمر.

وإذا عدنا للآية الكريمة من سورة النور: ـ

«ألم ترأن الله يزجي سحاباً ثم يؤلّفُ بينه ثم يجعلَهُ ركاماً فترى الوَدْقَ يخرج من خلاله وينزّل من السماءِ من جبالٍ فيها من بَرَدٍ فيصيبُ به من يشاءُ ويصرِفُه عن من يشاءُ يكادُ سنا برقه يذهبُ بالأبصار.» ٤٣/ النور.

سنجد الآية الكريمة التي هي نص سُنّة إلهية وكأنها نص قانون في علم الطبيعة الجوية. ففي علم الطبيعة الجوية نجد أن السحاب هو المُسّخَر ليجود بالمطر وهو يتكون بتكاثف أبخرة المياه بفعل التبريد الذاتي ـ بالتمدّد والانتشار كلما صعد وقلّ الضغط عليه ـ لتعُطي مجموعات ضخمة من نقط الماء المختلفة الحجم أو بلورات الثلج. ومن هذه السحب ما هو قابل للنمو والتراكم بالاتجاه الرأسي مع تيارات الهواء الصاعد فتعرف بالركامية ـ يصلُ سمك هذه السحب إلى أكثر من ١٥ كيلو متراً ويتيح لها هذا النمو الرأسي (شكل الجبال) أن تمتد طبقاتها من قرب سطح الارض حيث الحرارة ٣٠ مئوية إلى أعالي طبقة التروبوسفير وفيها الحرارة أقل من ٤٠ مئوية تحت الصفر ولا تتوفر هذه التوزيعات في جو الأرض عبر مسافة لا تتعدى عشرين كيلو متراً إلاّ في الاتجاه الرأسي الذي تنمو فيه السحب الركامية فتكون على هيئة الجبال الهائلة كما نصّ القرآن الكريم علماً بان طبقة التروبوسفير يبلغ ارتفاعها ١٨ كيلو متراً ـ ومن السحب المذكورة آنفاً ـ غير الركامية ـ منها ما ينجم عن رفع طبقة هوائية كاملة رفعاً تدريجياً فتعُطي طبقة متصلة من السحب وتهبط مكونات هذه السحب تدريجياً تحت تأثير جذب الأرض لها بسرعات تتناسب وحجوم هذه المكونات إلا أن تيارات الهواء الصاعد التي يحدث فيها التكاثف تعمل على حمل هذه المكونات للأعلى ويبدأ التكاثف في الهواء الصاعد عند مستوى أفقي معُيّن هو مستوى التكاثف الذي يُحدد قواعد السحب. أما الودق أو المطر فهو نقط الماء أو بلورات متميعة من الثلج أو منهما معاً كبرت حجومها فازداد وزنها فتساقطت من السُحب. وكلّما توفرت النقط النامية في قاعدة السحابة الركامية كلما بدت هذه القاعدة قاتمة اللون لوفرة ما تحجب من الضوء.

والآية القرآنية قررّت حقيقة علمية وسنّة إلهية (يُزجي سحاباً ثم يؤلّف بينه.. وسنجد أن تكوين السحابة الركامية المطرة إنما تتألفّ في الأصل من وحدات أساسية صغيرة يتم تجمع كل اثنتين أو أكثر منها لتكوّن السحابة الركامية التي تنمو رأسياً أو تصير كالجبال كما تنص الآية الكريمة ـ والتأليف بين السحاب هو إشارة واضحة كما سنجد مفصلاً ووصفٌ دقيق للتقريب بين السحاب، المختلف

الكهربائية. فالسحاب مكهرب والله عز وجل يؤلف بينه بواسطة الرياح فتكبر السحابة، والرياح الصاعدة من الأرض تحمل شحنة كهربائية موجبة وباتحادها مع الشحنة الكهربائية الموجودة في الفضاء يتكوّن مجال كهربائي يُسبب تحويل البخار إلى قطرات دقيقة من الماء تكبر شيئاً فشيئاً إلى أن تسقط مطراً(١). وعندما تكتمل السحب الركامية فإنكّ ستميُزّ فيها ثلاث طبقات هي:(٢)

١ـ المنطقة السفلى (منطقة نقط الماء النامية).

٢ـ المنطقة الوسطى (منطقة نقط الماء فوق المبرد وهي تظل في حالة سيولة رغم انخفاض درجة الحرارة تحت الصفر المئوي بكثير وهي عديمة الاستقرار خاصة إذا تصادمت مع جسم صلب مثل بلّورات الثلج).

٣ـ المنطقة العُليا (منطقة بلورات الثلج).

وعندما تلائم الظروف الجوية نمو بلورات الثلج في قمم السحب وازدياد حجومها تهبط البلورات النامية إلى المنطقة الوسطى وهنا يبدأ سقوط المطر فبمجرد تواجد بلورات الثلج داخل منطقة فوق التبريد وحيث تتصادم مع نقط الماء فوق المبرد فإنه يتجمد جزء كبير من هذه النقط فوراً ويتجمد الجزء الباقي على التدريج إذا ظلّ في منطقة من الجو درجة حرارتها تحت الصفر ويتبع ذلك نشاط ملحوظ في عمليات التكاثف وتنشط عمليات التصادم بين كافة هذه المكونات ويلتصق بعضها ببعض فيتكوّن البرد وهذا مصداق نص الآية الكريمة (ويُنزّلُ من السماءِ من جبالٍ فيها من بَرَدٍ) وخصوصاً إذا كانت المنطقة الوسطى نامية نمواً كاملاً أي أن السحابة تكون قد اكتمل نموها إلى أعلى وشمخت كالجبال تماماً وهو شرط لا بد منه ولا يتوفر إلاّ في السحب الركامية وحدها.

ثم إن الآية الكريمة لا تقف في إعجازها العلمي عند هذا الحد بل هي تتعداه لنجد أنها تربط بين البرد والبرق (أو لنقل انفصال الشحنات الكهربائية داخل السحب): «يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار». فالتجارب العلمية الحديثة أكدّت على أن المكونات الثلجية عندما تنمو أو تنصهر تكتسب شحنات كهربائية (يمكن أن تتولّد شحنات بمقدار ألف مليون وحدة سالبة خلال ١١ دقيقة فقط) وأنه يمكن أن تحُمل هذه الشحنات الهائلة مع مكونات السحابة النامية عندما تتساقط هذه

(١). مجلة الأقصى/ القوات المسلحة الاردنية. العدد ٤٦٤ عام ١٩٧٩ صفحة ١٥. من مقال بعنوان معجزات القرآن العلمية لمحمد عصام بطاينة. عمان ـ الاردن.

(٢) محمد جمال الدين الفندي المرجع السابق نفسه.

المكونات إلى أسفل السحابة بينما تنفصل شحنات أخرى موجبة بالمعدل نفسه مما يفسّر لنا ظاهرة البرق أو التفريغ الكهربائي كل بضع دقائق معدودات. وإن الجزء الأعظم من الشحنة الكهربائية إنما يتولّد عندما تقارب أقطار مكوّنات السحب ٢ ملليمتر. وكذلك تنفصل شحنات سالبة أكبر عن طريق تبخير البرد، ولكن عندما تتميع حبات البرد تنفصل شحنات عُظمى موجبة خصوصاً عندما تتصادم مع نقط الماء فوق المبرد. وقد ثبت بالرصد في السحب الركامية المشحونة بالكهرباء أن الشحنات السالبة تستقر بجوار القاعدة بينما الشحنات الموجبة الرئيسية تتواجد على مستويات أعلى من ذلك. وبطبيعة الحال إما أن يحدث التفريغ (البرق) بين أجزاء السحابة الواحدة أو بين سحابتين متجاورتين أو بين السحابة وسطح الأرض (الصاعقة).

كما تشير الآية نفسها إلى خطورة البرق من حيث أنه يذهبُ بالأبصار. وقد ثبت أن ومضات البرق تبلغ (٤٠) شرارة هائلة في الدقيقة الواحدة. والبرق يُحدث تسخيناً شديداً يولّد سلسلة من أمواج التضاغط والتخلخل في الجو المحلي (الرعد)[١].

لقد رأينا إذن كيف أن الرياح تنقل بخار الماء حيث يتكاثف البخار وبعد أن تصل حالته إلى ما فوق التشبّع تتكوّن السحب التي تُشحن فيها نقط المطر المتكاثفة الصغيرة بالكهرباء الموجبة وتنفصل الكهرباء السالبة التي تحملها الرياح وبعد مدّة تصير السحب مشحونة شحناً وافراً بالكهرباء فعندما تقترب الشحنتان بواسطة الرياح مرة أخرى يتم التفريغ الكهربائي بمرور شرارة بينهما (البرق) ثم تظهر نقط كبيرة من الماء تسقط على الأرض. فالرياح ولدّت الكهرباء بنوعيها في السحب ثم سببت تلقيحها بعضها ببعض فأنزلت المطر. وقد وردت الرياح والسحب والمطر متلازمة في جميع الآيات تبياناً لهذا الترابط الحقيقي الذي أثبتته العلوم الجوية الحديثة.[٢]

*** ** ***

ولننظر في آيات لها علاقة بالماء والسحاب:

«أفرأيتم الماء الذي تشربون. أأنتم أنزلتموه من المُزْنِ أم نحن المنزلون. لو نشاء جعلناهُ أُجاجاً فلولا تشكرون». ٦٨، ٦٩، ٧٠/ الواقعة.

---

(١) محمد جمال الدين الفندي المرجع السابق نفسه الصفحات ٩٠ ـ ١٣٢

(٢) عبدالرزاق نوفل. الله والعلم الحديث. صفحة ١٣٥.

سوف نجد أن الظروف الطبيعية التي تؤدي إلى تكوين المزن (وهو السحاب الممطر)، ونزول المطر لا يمكن أن يصنعها البشر بل وحتى لا سبيل الى التحكم فيها ـ من هنا جاء التعبير: جعلناه بدون تأكيد كما في الزرع: لجعلناه ـ، ولا يزال موضوع المطر الصناعي أو استمطار السحب العابرة في مرحلة التجارب التي لم يتم نجاحها بعد، وحتى إذا ما تم نجاحها فانه من اللازم ان تتوفر مسبقاً الظروف الملائمة للمطر الطبيعي حتى يمكن استمطار السماء صناعيا. بمعنى آخر ان دور علماء الطبيعة الجوية عند ذلك لن يتعدى قدح الزناد فقط بتوليد حالات من فوق التشبع داخل السحب الركامية وعلى الأخص داخل مناطق نقط الماء فوق المبّرد بقذف بعض المواد التي تصلح لتكون نُوىً للتكاثف على هيئة مساحيق أو أبخرة مثل ملح الطعام أو يودور الفضة أو بلورات ثاني اكسيد الكربون.

● ● ● ●

« .. وَمَنْ يُرِدْ أن يُضِلَّهُ يجعَلْ صدرَهُ ضَيّقاً حَرَجاً كأنّما يصَعَّدُ في السَّماءِ .. » ١٢٥ الأنعام.

الآية الكريمة تقرّر أن الارتفاع والصعود في السماء يقترن به ضيق الصدر والشعور بالاختناق. كما أنّ الآية الكريمة، كما يُلاحظ، لم تُعبّر عن لفظ الصعود في الجبال بل عبّرت عن الصعود في السماء ومعلوم أن بلاد العرب صحراوية وسطحها منبسط في الغالب. وهذا كله له دلالته عندما نرى رأي العلم الحديث في مسألة تناقص الضغط الجوي والاكسجين مع الارتفاع لنقف على الدقة المتناهية والصدق المطلق الذي جاءت به الآية ـ كما في كل أمر ومسألة ـ كنصٍ علمي عام.

فالعلم يؤكّد على أن الارتفاع في السماء يصحبه ضيق الصدر والشعور بالاختناق بسبب نقص الضغط الجوي وكميات الاكسجين التي تستقبلها الرئتان، وهذه الحقيقة ليس من السهل تقريرها علمياً إلاّ إذا صعد الانسان فعلاً في الجو. وبعد أن حلّق الانسان حديثاً في الجو على ارتفاعات شاهقة عرف أن الصعود قدماً في السماء يصحبه حتماً ضيق الصدر حتى يصل المرء الى حالة الاختناق غير بعيد عن سطح الأرض نظراً لتناقص كثافة الهواء الجوي وقلة كميات الاكسجين اللازم للتنفس تناقصاً سريعاً مع الارتفاع والصعود. وان غلاف الأرض الهوائي ينتشر ويتمدد ولكن بدرجة لا يفلت معها من جاذبية الأرض مما يؤدي بذلك لتلاشيه في الفضاء، وقد ثبت علمياً أنه على

ارتفاع ٦ ستة كيلومترات يُعادل الضغط الجوي نصف مقداره عند السطح أي أن نصف كتلة الغلاف الجوي تنحصر بين سطح الأرض وهذا الارتفاع.

★ ★ ★ ★ ★

« أو كَظُلُمَاتٍ في بحرٍ لُجّيٍّ يغشاهُ موجٌ مِنْ فوقِهِ مَوْجٌ مِنْ فوقِهِ سَحَابٌ ظُلُماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ إذا أخرجَ يَدَهُ لم يَكَدْ يراها..» ٤٠ / النور

ان المعروف الآن في دراسة الطبيعة الجوية أنّ العاصفة البحرية تخرج منها أمواج مختلفة الارتفاع أو السعة ومختلفة الصفات، يُلاحق بعضها بعضاً ويعلو بعضها بعضاً تحت ظلمة السحاب المنعقد فوقها في السماء. وإن مناطق مثل هذه الأعاصير تقع جميعاً الى الجانب الغربي من المحيطات وليس في الجانب الشرقي منها. وهذه الآية التي تصف الأعاصير البحرية تنتهي بوصف دقيق لتلك الظلمات المتراكمة بعضها فوق بعض الى الدرجة التي اذا أخرج معها المرء يده لم يكد يراها. وهذه الآية بالذات دفعت بأحد علماء البحار والطبيعة الجوية الى أن يسجد لله تعالى معترفاً ومقرّاً - وهو الغربي - أنّ هذا الكلام لا يمكن أن يقوله إنسان ولد ونشأ وتوفي في الصحراء، لأنّ هذا الوصف إنما يطابق تمام المطابقة فقط ما يحدث في المحيطات وفي أعماقها الغربية وإن صدق الوصف القرآني دقيق إلى الحد الذي يُخرج الانسان معه يده في خضم المحيط أثناء وقوع العاصفة فلا يكاد يراها.

★ ★ ★ ★ ★

« والسماءِ ذات الرجع » ١١ الطارق.

« .. فأنزلنا من السماءِ ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين.» ٢٢ الحجر.

« وجعلنا السماءَ سقفاً محفوظاً..» ٣٢ / الانبياء.

لقد تطرقنا من قبل لهذه الآيات ولموضوع الماء، ولارتباط الموضوع هنا كذلك بما سقناه نجد لزاماً علينا بلورة صورة جديدة تعطينا إياها هذه الآيات مجتمعة لفكرة الدورة المائية الكبرى في الطبيعة. فالسماء سقف محفوظ تُرجع المطر، فلا ينفلت بخاراً منها في الفضاء الخارجي ويضيع، وهو المطر الذي لم تستطع الأرض ولا أهلها أن يحبسوه فهو في دورة مستمرة من الأرض فالسماء لترجعه إلى الأرض مرة اخرى

وهكذا. والماء بقدر معلوم ثابت وهذا القدر منه يتبخر ويعود ليتكاثف ويسقط مرة اخرى فتسيل أودية بقدرها. وهذا التحديد للدورة المائية العظمى على الأرض لم يكن معروفاً على هذا النحو الدقيق من قبل. والقرآن الكريم بهذه الآيات البينات طرح جملة سُنن إلهية تعتبر في لغة العصر نصوصاً لقوانين علمية وكأنها تقول: لا يفلت شيء عبر الغلاف الجوي للارض ولا بخار الماء. الماء في دورة فهو لا يحتبس في الأرض كما ترون. ثم اخيراً ان السماء ترجع كل ما يصعد اليها بما فيه بخار الماء.

٥ - إشارات علمية متفرقة

« وانَّ لكمُ في الأنعام لعبرةً نسقيكُم مما في بُطُونِهِ مِن بينِ فَرْثٍ وَدَم لَبناً خالصاً سائِغاً للشاربين. » ٦٦/ النحل.

فسّر الأقدمون هذه الآية الكريمة بقولهم أن الله عز وجل يخلق اللبن وسيطاً بين الفرث والدم يكتنفانه، وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله: قيل اذا أكلت البهيمة العلف فاستقرّ في كرشها طبخته فكان أسفله فرثاً وأوسطه لبناً وأعلاه دماً والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة تُقسمّها فتُجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتُبقي الفرث في الكرش. (١)

وقد صدق الأقدمون في بعض ما ذهبوا إليه ولكن لننظر الى ما يقوله العلم الحديث في الموضوع ثم نرى دقة الآية وإعجازها العجيب حيث تصف وصفاً دقيقاً العملية الكيماوية الداخلية التي تُهيءّ اللبن في الضرع حتى يشربه الناس خالصاً سائغاً، فالعلم يقول:

ان الحليب قبل أن يصير الى الثدي يتم تصفيته من الفضلات وذلك بعد الهضم ونزول السائل الحليبي الى الامعاء إذْ تقوم الزغيبات المعوية بامتصاص المواد الغذائية طارحةً إياها في الدم ومبقية الفضلات في الأمعاء حيث تطرح خارج الجسم، وأما المواد الممتصة التي طُرحت في الدم فإنّ قسماً منها يغذي الجسم وقسماً آخر تُصفّيه الغُدد اللبنّية من الدم وترسله الى الضرع حليباً خالصاً سائغاً للشاربين. فالحليب (المادة اللبنية الناتجة عن الكيلوس وهو عبارة عن نواتج هضم الغذاء) يخرج من بين فرثٍ (الفضلات) ودم. (٢)

فانظر كيف كرّت السنون منذ ١٤٠٠ سنة ليأتي العلم الحديث بحقائقه الناصعة فإذا بها تتطابق مع معطيات القرآن الكريم وما فيه من نصوص السُنن الإلهية تطابقاً تاماً. ولم تزد السنون هذا التقرير القرآني - وغيره كثير - إلاّ رسوخاً وصدقا ولم يظهر في هذه التقريرات أو أي جزء منها أي تفاوت او اضطراب او تناقض مع حقائق

(١) عبدالكريم الخطيب. المرجع السابق نفسه ص ٢٨٢

(٢) سعيد حوى. المرجع السابق نفسه ص ٣٩.

العلم الراسخة. ففي هذه الحقيقة وغيرها كان لا بد ـ لو أنها قول البشر ـ ان تتناقض أو يظهر ولو في بعضها القليل شيء من التناقض مع معطيات العلم الحديث ولكننا ننظر في كل ما جاء به القرآن الكريم لنجده صادقاً الصدق المطلق مع كرّ السنين والأزمان وهو المنزل في زمن الجهل والغموض لا زمن الكشف العلمي والبحوث والتطور العلمي في جميع المجالات.

★ ★ ★ ★ ★ ★

«ومن كل شيءٍ خلقنا زوجين..» ٤٩ / الذاريات.

«سبحان الذي خلقَ الأزواجَ كلَّها مما تُنبتُ الأرضُ ومن أنفسِهِم ومما لا يعلمون» ٣٦ / يسن.

«والذّي خلق الأزواجَ كُلَّها..» ١٢ / الزخرف

في اللغة (كل) اذا أضيفت الى معرفة عمّت أجزاءها واذا اضيفت الى نكرة عمّت أفرادها. وفي الآية الكريمة الاولى سنجد أن (كل) اضيفت الى نكرة ولذلك فهي تعّم جميع الأشياء. فهي تعني مباشرةً ان الله عز وجل خلق من جميع الأشياء الموجودة جماداً ونباتاً وإنساناً وحيواناً زوجين.

يقول صاحب ظلال القرآن: وهذه حقيقة عجيبة تكشف عن قاعدة الخلق في هذه الأرض وربما في هذا الكون، إذْ ان التعبير القرآني لا يُخصّص الأرض قاعدة الزوجية في الخلق وهي ظاهرة في الأحياء ولكن كلمة شيء تشمل غير الأحياء أيضا. والتعبير يُقَرر أن الأشياء كالأحياء مخلوقة على أساس الزوجية، وحين تتذكرّ أن هذا النص عرفه البشر منذ اربعة عشر قرناً وأن فكرة عموم الزوجية حتى في الأحياء لم تكن معروفة حينذاك فضلاً على عموم الزوجية في كل شيء. حين نتذكر هذا نجد أنفسنا أمام أمر عجيب عظيم؛وهو يطلعنا على الحقائق الكونية في هذه الصورة العجيبة المبكرة كل التبكير. الا يقوم بناء الكون كله على الذرة؟ التي يقوم بناؤها على الزوجية: فهي مؤلفة من زوج من الكهرباء موجب وسالب!

ثم اذا نظرنا في الانسان، سنجد أن الخلايا الجنسية في النطفة جاءت أزواجا أزواجاً وأنّ منها إناثا وذكرانا. بل سنجد ان هذه الخلايا قد حوت في مكوناتها

أزواجاً من داخل أزواج. ففي نواة الخلية الانسانية يوجد ٤٦ كروموسوماً وتظهر هذه بوضوح في عملية الانقسام بالخلية حيث تظهر ٢٣ زوج من الكروموسومات. ثم ان الازواج لا تتوقف على ان الكروموسومات قد جاءت زوجين زوجين بل ان كل كروموسوم من الـ ٤٦ الموجودة في نواة كل خلية إنسانية قد جاء بدوره على هيئة زوج مترابط قرب منتصفه على شكل كمآشة وذلك حتى تتقارب الازواج المتشابهة لحظة التزاوج والانقسام فيحتضن كل زوج قرينه، وتتحد نصف الازواج الذكرية (من الحيوان المنوي) بنصف الازواج الانثوية (من البويضة) وتظهر الخلية الملقّحة (الزيجوت) وفيها ٢٣ زوجاً من الكروموسومات [1]، وهنا تبدأ هذه الخلية أيضا بالانقسام الى اثنتين فأربعة فثمانية فستة عشر... حتى تصل في الانسان الى ٦٠ مليون خلية. وفي الانقسام الجديد لا تنتصف الأزواج بحيث يذهب كل نصف منها الى خلية جديدة بل ان تكاثر الخلايا يتم عن طريق أزواج الكروموسومات فتهب الأزواج من نفسها أزواجاً، فقبيل الانقسام تصبح الـ ٢٣ زوجاً ٤٦ زوجاً وكل نسخة منها هو نسخة من نظيره. وهذه الكروموسومات تحمل ملايين المعلومات (الجينات ناقلات الوراثة) التي تتبادلها مع غيرها لحظات اللقاء ثم الانفصال. والأعجب ان هذه الكروموسومات تحوي كل منها في داخلها زوجا آخر وكأنما هي أزواجاً تنطوي على أزواج أصغر. [2]

كل هذا، وأبعد من هذا مصداق قوله تعالى:

« وخلقناكم أزواجاً » ٨ / النبأ.

★ ★ ★ ★ ★ ★

« مَثَلُ الذّين اتخذوا من دونِ اللهِ أولياءَ كَمَثَلِ العنكبوتِ اتخذَتْ بيتاً وإن أوهنَ البيوتِ لبيتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمون. إنّ اللهَ يعلمُ ما يدعونَ من دونهِ من شيءٍ وهوَ العزيزُ الحكيم. وتلكَ الأمثالُ نضربُها للناس وما يعقلُهَا إلاّ العالمونَ» ٤١، ٤٢، ٤٣ / العنكبوت.

ان قوله تعالى (اتخذت) في الآية الكريمة إشارة الى حقيقة كشفها العلم الحديث

---

(١) العربي العدد ٢٤٢ يناير ١٩٧٩

(٢) الوعي الاسلامي. العدد ١٦٩ ديسمبر ١٩٧٨ ص ٤٢، ١٦١ ص ٤١

تؤكد أنّ الذي يبني البيت وينسج خيوطه هي الانثى من العنكبوت وليس الذكر.

ولنعد للآيات الكريمات لنجد المثل باتخاذ أولياء من دون الله كمثل العنكبوت وضعف بيتها. فهي تتناول علاقة اجتماعية وروابط تنشأ عنها باتخاذ غير الله أولياء فهذه العلاقة وتلك الروابط واهية جداً وهي في ضعفها ووهنها كوهن بيت العنكبوت بما فيه من روابط وعلاقات. وسنجد ان الآية تذكر البيت ولم تذكر الخيط فالثابت علمياً - وانظرو تدبّر دقة الصدق القرآني الذي لا يُخطيء أبداً - ان خيط العنكبوت من أقوى الخيوط وهو أقوى من مثيله من الصلب اربع مرات! فالوهن اذن في البيت لا في الخيط. ثم ان العلم يؤكّد على أن بيت العنكبوت هو أسوأ ملجأ لمن يفكر بالاحتماء به فهو مصيدة لمن يقع فيه من الزوار الغرباء وهو مقتل حي لأهله فالعنكبوت الأنثى تفترس زوجها بعد التلقيح كما أنها تأكل أولادها عند الفقس كما أن الاولاد يأكل بعضهم بعضاً فتأمل هذه الرابطة الأسرية الواهنة لتجدّ أن العلاقة العائلية معدومة وانها ان وجدت فهي تتصف بالوحشية والافتراس والعدوان ومن هنا كانت عظمة التشبيه وحكمته في من يتخذ من دون الله اولياء كمن يحتمي في بيت العنكبوت فهو أسوأ ملجأ يؤدي به الى أسوأ مصير وعاقبة. ومن هنا كانت الآية مختومة بقوله عز وجل « .. لو كانوا يعلمون» ٤١ / العنكبوت ثم في الآية التالية « .. وما يعقلها الا العالمون» ٤٣ / العنكبوت فهي إشارات الى انه علم لن يظهره الله الا متأخراً وقد ظهرت هذه الأسرار البيولوجية مؤخراً بالفعل.

★ ★ ★ ★ ★

« وأوحى ربُّكَ إلى النّحلِ أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يَعْرِشون، ثم كُلي من كلِّ الثمراتِ فاسلكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُللاً يَخْرُجُ من بطونها شرابٌ مختلفٌ الوانُهُ فيه شفاءٌ للناس إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يتفكّرون» ٦٨، ٦٩ / النحل.

لقد أثبتت الدراسة التاريخية لحشرة النحل أنه قد اتخذ بيوته أولاً في الجبال، ثم في الاشجار، ثم في الأعراش والخلايا كما ورد الترتيب في الآيات الكريمة. وسنجد الاشارة في الآية الكريمة الى البيت: فالنحل يُنشيء بيوتا (عدّة أنواع من الغرف) فهنالك غرف ملكية، وغرف للذكور، وأخرى لخزن الطعام وأخرى صغيرة بمثابة مهود للعمال وثمة غرف انتقال للوصل بين الغرف بعضها ببعض. وكل غرفة هي عبارة عن انبوبة مسدسة الأضلاع تقوم جميعاً على قاعدة هرمية. يقول الدكتور ريد: انه لا يوجد سوى ٣ ثلاثة أشكال ممكنة لعمل الغرف بحيث تجعلها جميعها متساوية ومتشابهة

ودون ان تكون هنالك مسافات بينها زائدة ولا فائدة منها وهي المثلث المتساوي الاضلاع والمربع والمسدّس المنتظم وإن الأخير اصلحها. ويقول مترلنك: الحجرة المسدسة تكاد تبلغ الكمال المطلق فلا تستطيع ان تزيد عليه كل عبقريات البشر مجتمعة أيّة تحسينات ولو أن أحداً من عالم آخر هبط الى الأرض وسأل عن اكمل ما أبدعه منطق الحياة لما وسعنا إلاّ أن نعرض عليه مشط الشمع المتواضع (١)

ثم اذا رجعنا للآية الكريمة «يَخْرُجُ من بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانُه فيه شفاءٌ للناس..» لوجدنا ان لون العسل يختلف باختلاف الأزاهير التي امتصت النحلة رحيقها وقد أمكن تمييز الزهور التي مرّ بها النحل من ألوان العسل.

وقد أثبتت البحوث العلمية على العسل أنه يُعطى للمعالجة بكافة الطرق وأنه يُعطى بصفته مقوياً ومغذياً حيث يحتوي على ما يقرب من نصفه سكر العنب (جلوكوز) وهذه الكمية منه تُعتبر أكبر نسبة وجدت لهذا النوع من السكر في أي غذاء آخر. كما يُعطي العسل ضد التسمّم من الزرنيخ والزئبق وضد تسمّم أمراض أعضاء الجسم كالتسمم البولي وتسمم أمراض الكبد والمعدة والامعاء. كما يوصف للحميات والحصبة والالتهاب الرئوي والسحائي وفي حالات الذبحة الصدرية وفي التهاب الكلى الحاد والاورام الخبيثة واحتقان المخ. كما يستخدم مع الأنسولين في حالة التسمم من مرض البول السكري. كما أثبت الطب أنه وشمعه فيهما مادة قادرة على شفاء تصلّب المفاصل والرسغين. كما أنه استخدم بنجاح لتغطية آثار الجروح الناتجة عن سرعة التئامها بعد العملية وتبين أنّ في العسل مواد تساعد على نمو الانسجة البشرية من جديد فتلتئم الجروح بطريقة مستوية فلا تُخلّف ندوباً وتشويهات بعد العمليات الجراحية. كما ثبت أن عسل النحل الملكي له القدرة على إفناء جميع أنواع الجراثيم، كما ثبت أنه من أغنى المواد الغذائية وأكثرها فائدة للإنسان. (١)

★ ★ ★ ★ ★

«الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون» ٨٠ / يس.
«أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون» ٧١، ٧٢ / الواقعة.

---

(١) عبدالرزاق نوفل، المرجع السابق نفسه ص ١٥٧، ١٥٢.

«... وجعلنا من الماء كل شيءٍ حي ...» ٣٠ / الأنبياء.

أما ظاهر الأمر وتفسير الآيات فإن الشجر الأخضر هو مصدر النار، ولكن العلم الحديث جاء ليسأل: ما هي طبيعة النار التي جعلها الله في الشجر الأخضر؟ وهنا تتجلى الدقة والاعجاز القرآني في تحديد الخضرة حيث أثبت العلم أن النبات الأخضر هو الذي يحتوي على البلاستيدات الخضراء التي هي بمثابة بطاريات حيّة تحوّل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهروكيميائية فهي بضوء الشمس تقوم بشق الماء أو بفلقه إلى نصفين: الهيدروجين والأكسجين، ثم تقوم بربط شق منه مع غاز ثاني أكسيد الكربون فتحوله إلى سكر ومنه يتكون النشاء والزيوت وبالتالي فإن هذه البطارية تشحن كل مخلوقات هذا الكوكب بطاقة كيميائية مُيسّرة مصدرها أساساً ضوء الشمس ثم الماء. وهي تُنتج سنوياً من المادة العضوية - أي التي تحترق إذا مسَّتها النار - ألوف الملايين من الأطنان يتوارى إلى جانبها إنتاج البشر من صناعاتهم مهما بلغ. وهنا أيضاً تتجلى الدقة القرآنية في الآية الكريمة «... وجعلنا من الماء كل شيءٍ حي..» ٣٠ / الأنبياء، فالماء أساس الطاقة وأساس المادة العضوية ودوام بقائها. والبلاستيدة التي تشق الماء بالضوء إلى نصفين تفعل ذلك عن طريق جزيئات الكلوروفيل وهي المادة الخضراء التي تتخذ نظاماً فذّاً داخل البلاستيدة، وهي تفعل ذلك بأقل كميّة من الضوء بينما يحاول العلماء فعل ذلك أي انتاج الطاقة بتوفير الهيدروجين من الماء المتوفر بكميات كبيرة جداً على سطح الأرض وبتسليط الضوء عليه والمتوفر بكميات كبيرة من أشعة الشمس ولكنهم لم يفلحوا لأنّ مثل هذا الفصل (شق الماء) أحوجهم لطاقة هائلة وذلك لتعريض بخار الماء إلى درجة ٢٥٠٠ درجة مئوية، فلنقارن بين ما يحتاجه البشر من خلال أجهزتهم ومعداتهم وبين ما تفعله البلاستيدة بشعاعٍ ضوءٍ يسير! ولو أفلح الانسان بتحقيق هذا الانجاز لحصل على ملايين الأطنان من الهيدروجين الذي يُنتج كمياتٍ هائلة من الطاقة. وهنا تتجلى معاني الآية الكريمة ويتجلى تحديها: «أفرأيتم النار التي تورون. أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون» ونحن نقول إننا لن نستطيع أن ننشيء شجرة ولا خلية في شجرة ولا بلاستيدة في خلية ولا أن نُقلّد وظيفة نظامٍ صغير جداً يتمثل لنا في بطارية حيّة دقيقة تُحيل النور إلى طاقات ومنها تخرج النار وبها تُوقد جذوة الحياة فى كل الكائنات [1]_

(١) الأقصى. القوات المسلحة الاردنية. العدد. ٥٦، ١٩٨١/١/٧ عن مجلة الوعي الاسلامي من مقال للدكتور عبد المحسن صالح (من الشجر الأخضر ناراً)

❁ في ختام باب الإعجاز العلمي بفصوله المختلفة نجد لزاماً علينا أن نُعقّب بكلمات نخلص بها إلى نتيجة جَولتنا السريعة في هذا الباب: ـ

١ ـ إن الحقائق العلمية التي سقناها مع عرضها على آيات القرآن البينات كشفت لنا مدى الصدق القرآني وأنه لا شك قول الله عز وجل لا قول البشر لأنه لم يكن في مكنة البشر قبل أربعة عشـــر قرناً أن يطلّعوا على دقائق من العلم لم يتوصل إليها إلا بعد ١٣٠٠ سنة. فلو اطلعنا على الآيات التي تتحدث عن سير الشمس وسبحها في فلكها سنجد أن هذه الحقيقة تُؤكّد بالقرآن بتكرارها غير مرة ويأتي بها في سياقه عن خلق السماء والنجوم ونحن نعرف أن علم تلك العصور كان مجرد تخمين ونظر وحدس، ولكن القرآن الكريم يؤكدها كحقيقة لا تقبل النقاش ويعاود عرضها بوجوهٍ مختلفة معاودة المتثّبت من علمه ومعرفته. وتّمر السنون فإذا بالعلم يتقدم قليلاً ليقول إن الشمس ثابتة وحركتها ظاهرية وإن الأرض هي التي تدور: والسؤال هنا ماذا لو ظلّت هذه المقولة كحقيقة أثبتتها الدراسات والبحوث؟ ألا يجد الناظر في القرآن فوراً ـ وحاشا أن يكون كذلك ـ أنه مجرد تخمينات ورجم بالغيب؟ ولكن مع تطور العلم وانتهائه إلى حقائق ثابتة بيّنَ أن الشمس ومجموعتها من الكواكب وأقمارها كلها تدور وتسبح في فلك. وكنّى عن حركة الأرض بجبالها وبالليل والنهار وقال أكثر من ذلك إن الشمس تجري لمستقرٍ لها بكواكبها نحو برج النسر، وأنها في مسيرتها هذه تسير بسرعة هائلة جداً جداً.

والقرآن ـ كما لاحظنا في الباب المذكور ـ يذهب أبعد من هذا ليطرح جملة قضايا ومسائل في نواحي شتى وإذا بنتائج العلوم الحديثة الصادقة الثابتة القطعية تؤكد صدق كل تلك القضايا والمسائل بحيث لا يبقى مجال لشاّكٍ أن يتشكك أبداً. إذ أن كل تلك المعارف والحقائق التي طرحها القرآن الكريم لم تثبت إلا مؤخراً فكيف يتأتّى لبشرٍ في تلك الأحقاب المظلمة أن يأتي بكل هذا ثم تأتي نتائج العلوم الصادقة لتؤكدّ هذه الحقائق فلا تفاوت أو اضطراب ولا حتى في أي جزئيّة منها.

٢ ـ وهذا ينقلنا للنقطة الثانية وهي أن القرآن الكريم لا يتناقض مع أي حقيقة علمية ثابتـــة حتـــى الآن ونحن في زمن الكشوفات العلمية الغزيرة. وهو ـ القرآن ـ مليء زاخر بالآيات التي تتحدث عن الكون والحياة والانسان وقصة الخلق مما يجعل من يتعرض لكل ذلك ويتصدى له عرضةً للخطأ ولو بجزء بسيط واحد مما ساقه وعرضه ولكن أن يأتي كل ذلك ثم لا تكذّبه الكشوف العلمية الدقيقة

الصادقة ولا يتناقض معها على الاطلاق لدليلٌ عظيم على أنه ليس من قول بشرٍ ألفه قبل ١٤٠٠ سنة. ونحن في هذا الزمن نجد العالِمَ الراسخ القدم في علمه يُقرّر حقيقة تستند إلى دراسات وملاحظات دقيقة طويلة ومقدمات صادقة وأبحاث مترابطة معقّدة ثم تأتي النتيجة ليكذبها كشف جديد أثبت منه وأصدق. فكيف بعالمٍ يحاول أن يضع فصلاً في ذلك الزمن بما جاء به القرآن الكريم، لا نشك أنه سيكون بأجمعه متناقضاً مع ما أثبته العلم الحديث وأقل تقدير له أن ينجو منه النذر اليسير ليتمشّى مع حقائق العلم الحديث ويسقط جلّه بتكذيب الكشوفات الحديثة له. ولكننا نجد أن ما قرره القرآن صادق كله ولم يأت العلم الصحيح ليقول إن هذه النقطة خطأ أو تلك الإشارة كاذبة بل جاء العلم ليصدّق كل حقيقة طرحها القرآن الكريم.

فاذا جابهنا أحدهم بقوله: لقد حمّلتم بعض نصوص القرآن فوق ما تحتمله من معانٍ واستنطقتم نصوصاً أخرى بما لا تنطق به؟

فإننا نجيب قائلين له: ولكن حتى هذه الاشارات الخافتة والنصوص الهامسة لماذا انسجمت مع معطيات العلم الصادق فلم تتناقض ولا حتى جزئية واحدة منها ـ الخافتة العامة والصريحة الصارخة ـ مع أي حقيقة علمية ثابتة؟ فالقرآن يتحدث عن ابتناء العنكبوت للبيت ويقول اتخذت ويصدق هذا مع العلم الحديث ثم يقول إنها اتخذت بيتاً فهو حتى في صمته عن استخدام الخيط الذي ثبتّت قوته العظيمة نجده يصدق تماماً مع معطيات العلم الحديث ولا يتناقض معه إن لم يطرح حقائق جديدة فحاشا أن تصدق كل تلك الحقائق بمحض الصدفة والقرآن زاخر ومليء بالآيات الكونية التي تتناول الخلق والكون والحياة والانسان وهي كلها تحت الدرس والنظر منذ ١٤٠٠ سنة. ونحن بكل هذا لا نضع القرآن تحت الاختبار كما أننا لا نجعل القرآن قابلاً للتكذيب بل فقط نؤكد فكرة مؤداها أن القرآن أو أي كتاب آخر لو أنه أُلف قبل هذه السنين كلها لوجدنا اليوم فيه اختلافاً كثيراً بل ربما لا نجد فيه قضية واحدة صادقة بعد كل هذا الخضم الهائل العظيم من الكشوفات والحقائق. فأن يأتي القرآن بجميع قضاياه ـ وهي كثيرة كثيرة ـ لنجده صادقاً دقيقاً ولا يتناقض مطلقا مع تلك الكشوف والحقائق ولا نجد فيه كلمة واحدة، مجرد كلمة واحدة، فيها ضعف أو تهافت أو اضطراب أو تناقض لدليل ما بعده دليل على أنه من قول العزيز الحميد لا قول البشر.

٣ ـ وهذا بدوره يقودنا لفكرة جديدة أخرى وهي أنه لو كان من قول بشر

لما جازف بسوق هذه الآيات الكثيرة التي تتناول مواضيع الكون والحياة والانسان والخلق. فهو لن يجازف مثلاً بالحديث عن من يُقرّر جنس الجنين من ذكر وأنثى وأنه النطفة الذكرية «وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى. من نطفةٍ إذا تُمنى» ٤٥، ٤٦ / النجم، وهذا ما أقرّه العلم الحديث كبدهية مسلم بها. لأنه سيضع نفسه في مأزق عظيم ويترك الأمر الذي جاء به برمتّه عرضة للصدفة تُصّدقه أو تكذبه وهو سيكون بلا شك في غنى عن ذلك كله بأن يصمت عنه منذ البداية لا أن يملأ به صفحات كثيرة لدرجة لن تجد الصدفة معه صعوبة بالإيقاع بإحدى قضاياه المطروحة لتُكّذبها فتسقط قضيته كاملة. ولكننا نقف مذهولين لنقول أنه على مدى ثلاثة وعشرين عاماً وعلى امتداد مائة وأربعة عشر سورة وبعد مضي أربعة عشر قرناً من الزمان وبعد مائتي عام من البحث المتسارع الدؤوب المكثّف لا نجد في كل ما اكتشف في جميع نواحي العلم جميعاً حقيقة واحدة تقول إن القرآن الكريم جانب الصواب في الفكرة الفلانية أو أخطأ عندما قرّر حقيقة في الخلق أو النبات أو علم البحار او الجو... الخ «.. وبالحق نزل..» ١٠٥ / الاسراء.

إنّ انساناً يتطرق لمواضيع دقيقة مثل هذه يقرّر فيها حقائق معينة ليس أمراً متروكاً للصدفة ولو كان من قول البشر لصمت عن كل تلك القضايا الجزئية حتى لا تسقط قضيّة الإيمان كلها إذا ثبت خطأ حقيقة واحدة منها.

٤ ـ إن النتيجة التي نخلص إليها من كل ما تقدم أن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل لأنه لو كان قول البشر لما ساق كل تلك الأفكار التي تتناول موضوعات يمكن أن يصدقها الزمن والكشف المستقبلي ويمكن أن يكذبها ولما جازف بها، ولكن أن تأتي كل هذه الأمواج المتدفقة من المعارف الحديثة والنتائج الصادقة والحقائق العلمية القطعية الثبوت فلا يظهر معها أي تفاوت أو تناقض مع كل ما طرحه القرآن الكريم لدليل صارخ على أن القرآن «تنزيل من الرحمن الرحيم. كتابٌ فُصّلت آياتُهُ قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون» ٢، ٣ / فصلت. وأن هذا الباب المطروق باب إيمانّي والأبواب كثيرة ومنطق العقل يقبلها جميعاً وهو يلج من هذا الباب ويرتاح إليه فالاسلام بالنهاية والقرآن دين علمٍ ودعوةٍ للفكر والنظر مستمرة ما استمرت حياة وأرض..

«هو الذي يُنزّل على عبده آيات بيّنات..» ٩ / الحديد.

«تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم. إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق..» ١، ٢ / الزمر.

«إنا نحن نزلنّا عليك القرآن تنزيلاً.» ٢٣ / الانسان.
«وبالحق أنزلناه وبالحق نزل..» ١٠٥ / الاسراء.
«وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.» ٤١، ٤٢ / فصلت.
«ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.» ٨٢/ النساء.

خاتمـــة

١ - لقد انتهينا إلى صورة بلاغية عظيمة من الإعجاز يظهر عبرها القرآن الكريم. فوجدناه يمتاز بالنظم الفريد الحسن والصور البيانية الرائعة التي تؤلف أبدع تأليف بين أفصح الألفاظ وأصح المعاني، يَصْدُق في بنائه ومعانيه صدقاً مطلقاً كما يُشعر بعلوّ الجهة المنزل منها فلا يتأثّر بالبيئة أو الأشخاص أو الاحداث، مترابط البناء محكم التركيب لا تفَاوت في أسلوبه، تتراءى فيه وحدة في المعاني وفي الألفاظ كما في الأسلوب نفسه من أوله إلى آخره وهو المُنزّل مفرقاً في ١١٤ سورة على مدى ٢٣ سنة، ومع ذلك فإننا نقف أمام إعجاز بنائي هائل يقول لنا: «الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان» ١٧ / الشورى.

٢ - كما انتهينا إلى صورة بنائية عددية من الاعجاز العددي يظهر عبرها القرآن الكريم محكم التماسك في إطارٍ من التوازن الدقيق غاية الدقة في حروف القرآن وفي موضوعاته. فهو معجز في تراكيبه العددية وتقابل موضوعاته وتوازنها العددي وفي توازنه الحرفي والعددي. مما يضعنا أمام حقيقة تقول: أنه ليس في مكنة أحد من البشر أن يتأتى له كل ذلك الجهد الإحصائي الخيالي بحيث يأتي كتابه على مدى ٢٣ سنة بمواضيعه المختلفة وجوانبه المتباينة وهو الأمي الذي عاش في الصحراء في زمن الظلام والجهل قبل ١٤٠٠ سنة بكل هذا الاحكام والدقة بحيث لا يختلف فيه أو يضطرب حرف واحد بل قل لا يقبل أن يُزاد به حرف أو ينقص منه. وأيضاً لا الصدفة العمياء ولا علم الحاسبيـــن أجمعيـن قدماء ومحدثين يأتي بهذا الاعجاز العظيم.

٣ - كما انتهينا إلى أن الاعجاز العلمي للقرآن الكريم يؤكد ما يلي:-

أ - إن الحقائق والكشوف العلمية الثابتة أكدّت لنا مدى الصدق القرآني.

ب - إن كل حقائقه عن الكون والحياة والانسان والخلق لم تتناقض مع أي حقيقة علمية ثابتة وأنه يُعاود ترداد حقائقه معاودة المتثبت من علمه ومعرفته.

جـ - إنه لو كان قول بشر لما جازف بسوق كل تلك الحقائق في أمور الكون والحياة والانسان ولصمت عنها حتى لا تسقط قضية الايمان كلها إذا ما ثبت خطأ حقيقة واحدة منها.

من كل ما سبق، ومن خلال رحلتنا السريعة مع أبواب الكتاب، نصل الى نتيجة واحدة وهي أن القرآن الكريم هو كلام الله. وأنه لا مجال لنقض هذه الحقيقة الناصعة إلا أن يكون جدلاً ومراءً.

«تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم.» ١ / الزمر.

المراجع

الكتب

القرآن الكريم

(١) د. أحمد شلبي. مقارنة الأديان ٢ ـ المسيحية. طـ ٣. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧.

(٢) أحمد عبد السلام الكرداني. النجوم في مسالكها. القاهره: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٢.

(٣) حنفي أحمد. التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن. طـ ٢. القاهرة: دار المعارف بمصر ١٩٦٠.

(٤)د. سعد جلال. المرجع في علم النفس. طـ (د. طـ). القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦.

(٥) سعيد حوى. الرسول صلى الله عليه وسلم. ج ١، ج٢. طـ٣. بيروت: دار الكتب العربية، ١٩٧٤.

(٦) عبد الجليل عيسى. المصحف الميسر. طـ٥. (د. م): دار الشروق، ١٩٧١.

(٧) عبد الرحيم بدر. الكون الأحدب: قصة النظرية النسبية، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٢.

(٨)عبد الرزاق نوفل. الاعجاز العددي للقرآن الكريم. ج١، ج٢. القاهرة: دار الشعب، ١٩٧٥

(٩) عبد الرزاق نوفل. الله والعلم الحديث. طـ٣ . بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٣.

(١٠) عبد الكريم الخطيب. إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها. ج١، ج٢. القاهره: دار الفكر العربي، ١٩٦٤.

(١١) فاخر عقل. علم النفس. طـ٦. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩.

(١٢) مجمع اللغة العربية. معجم ألفاظ القرآن الكريم. طـ٢. القاهرة: الهيئة المصرية

العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠.
(١٣) محمد جمال الدين الفندي. القرآن والعلم. القاهرة: دار المعرفة، ١٩٦٨.
(١٤) محمد حقي النازلي. خزينة الأسرار. بيروت: دار الفكر، (د. ت).
(١٥) محمد رشاد خليفة. تسعة عشر: دلالات جديدة في إعجاز القرآن. دمشق: دار الفكر، (د. ت)
(١٦) محمد متولي شعراوي. معجزة القرآن. طـ٢. القاهره: (د. م)، ١٩٢٨.
(١٧) مصطفى صادق الرافعي. اعجاز القرآن. ط ٢. القاهرة: [د. م]، ١٩٢٨.
(١٨) مصطفى محمود. حوار مع صديقي الملحد. بيروت: دار المتوسط، (د. ت).
(١٩) **Engel, Leonard. The New Genetics - New York: Avon Books, 1967.**

المراجع

الصحف والمجلات

(١) الأخبار، جريدة. العدد ٦٧٦. ١٩٧٩/٣/٢. عمان، الاردن.

(٢) الأقصى، مجلة. العدد ٤٦٤. ١٩٧٩/٢/٢١. القوات المسلحة الاردنية.

(٣) الأقصى، مجلة. العدد ٥٦٠. ١٩٨١/١/٧. القوات المسلحة الاردنية

(٤) الدستور، جريدة. العدد ٤٨٣٨. ١٩٨١/١/٣٠. عمان، الاردن.

(٥) الدستور، جريدة. العدد ٤٨٨٣. ١٩٨١/٣/١٦. عمان، الاردن.

(٦) العربي، مجلة. العدد ٢٠٤٢. يناير ١٩٧٩. السنة ٢١. الكويت.

(٧) الوعي الاسلامي، مجلة. العدد ١٦٥. أغسطس ١٩٧٨. السنة ١٤. وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية. الكويت ١٩٧٨.

(٨) الوعي الاسلامي، مجلة. العدد ١٨٣. السنة ١٦.

(٩) الوعي الاسلامي، مجلة. العدد ٢٠٦. ديسمبر ١٩٨١. السنة ١٨.

(١٠) الوعي الاسلامي، مجلة. العدد ١٤٢. أكتوبر ١٩٧٦. السنة ١٢.